قراءة في نشأة وتطور الانثربولوجيا العامة

المدرس المساعد

عباس كاظم احمد العلي

جامعة البصرة – كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

صدق الله العظيم

الحجرات١٣

المقدمــة

يعد علم الانثربولوجيا العامة من العلوم الحديثة والمهمة بصورة خاصة في عصرنا الحاضر وذلك لاهتماماته الكثيرة بدراسة الشعوب والمجتمعات . والانثربولوجيا هو التعريب للاصطلاح الانكليزي Anthropology اما أصله فيرجع الى كلمتين يونانيتين Anthropos ومعناها الإنسان وLogy ومعناها علم او دراسة وبهذا يصبح معنى الانثربولوجيا هو علم الإنسان . اشتمل هذا البحث على ثلاثة فصول ، الفصل الأول ركز على بعض المعلومات الانثربولوجية التي وجدت في الحضارة اليونانية والحضارة الإسلامية وبداية عصر النهضة والاستكشافات الجغرافية وعن المجتمعات البدائية ، أما الفصل الثاني فاهتم بظهور مصطلح الانثربولوجيا لأول مرة في عام ١٨٠٥ في كليات الطب الأوربية واستخدم في الدراسات البايلوجية ومن ثم نشوء علم الانثربولوجيا الطبيعية وظهرت دراسات أخرى بعدها وهي الدراسات الاثنوغرافية والاثنولوجية ، تاسست هذه الدراسات بعد إن أصبحت علوم الفلسفة الاجتماعية في أوربا ليست قادرة على استيعاب المعلومات الجديدة عن الإنسان والحياة التي جاءت بها الاستكشافات الجغرافية ونظريات عصر النهضة . وفي الفصل الثالث والأخير تناول البحث ظهور علم

الانثربولوجيا الاجتماعية في بريطانيا . اما في الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت الجامعات الأمريكية على دراسة الثقافة وجوانبها المختلفة في المجتمع الواحد عن طريق علم الانثربولوجيا الثقافية ثم وضحت في آخر الفصل تطور الدراسات المعاصرة لعلم الانثربولوجيا ولا سيما الدراسات البنائية الوظيفية . اما في ما يتعلق بسبب كتابتي لهذا البحث فقد لاحظت دائما عند مطالعتي لعلم الانثربولوجيا العامة بوجود مشكلتين مهمتين اولهما مشكلة التداخل في التقسيمات التي وضعها العلماء لفروع الانثربولوجيا . والمشكلة الثانية هي مشكلة التشابه في بعض المصطلحات والمفاهيم الانثربولوجية ، علما ان هذه المشكلتان كانتا مشخصتان من قبل العلماء والباحثين ويعنينا في هذا البحث هو المشكلة الاولى وهي مشكلة التقسيمات كتقسيمات بدنغتون Ralf`Pidington وتقسيم فلكس كيسنغ Felex Kessing وتقسيم المر ميلر Elmer miller ومارفين هاريس M. Haress وتقسيم ميلفين امبير Melvin Embir وغيرهم وهذه التقسيمات تشكل إرباك للقارئ او الباحث . وهذا البحث محاولة لتبسيط دراسة الانثربولوجيا عن طريق دراسة بداية ونشاة كل فرع من فروعها وعلى التوالي . ان اهتمامي بهذا النوع من العلم هو بسبب قدرة هذا العلم على كشف الظواهر الاجتماعية الكامنة في المجتمع او الظواهر في دور التشكل داخل المجتمع ، وإسهاماته في حل كثير من المشاكل الاجتماعية او تجنبها قبل وقوعها . ومشاركة هذا العلم العلوم الأخرى في دعم خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلدان النامية لردم الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة . لقد حاولت كل جهدي ان اجمع اكبر قدر من المعلومات لدعم هذا البحث المكتبي والذي اعتمدت فيه على طرق البحث التاريخي والاستقرائي والتحليل والتفسير . وواجهتني صعوبة الحصول على المصادر والمراجع في المكتبات العامة والخاصة اما ما موجود في الانترنت فهو معلومات عامة لذلك اعتمدت على ما موجود في مكتبتي الخاصة من مصادر ومراجع وأسعفتني مكتبات جامعة البصرة مشكورة ببعض المصادر والمراجع وفي الختام لا يسعني إلا أن أتمنى ان يحقق هذا البحث بعض ما يرجى منه وان ينال رضى الله سبحانه وتعالى عنا ورضى الجميع .

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

البدايات الأولى للفكر الانثربولوجي

المبحث الأول

أولا – العصور القديمة :

من المعروف إن وصف ثقافات الشعوب اهتم بها البعض من الناس في الحضارات القديمة . فنجد في ملحمة الإلياذة للشاعر اليوناني هميروس الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد وصف لمجتمعات المدن الإغريقية كيف تحولت من مجتمعات بربرية تحارب بعضها البعض بوحشية الى مجتمعات مدنية متحضرة [1] . كما كتب المؤرخ اليوناني هيرودتس الذي عاش بعده بأربعة قرون عن المدن التي زارها في حضارات الشرق القديم ، كمصر وليبيا وأثيوبيا وبابل ، تحدث عن عادات وتقاليد شعوب هذه المجتمعات وبين تأثير المناخ والنيل على المصريين مما جعلهم يختلفون عن بقية الشعوب القديمة ، فهو يقول عنهم ((كهنة آمون يحلقون شعورهم أما غيرهم من كهنة العالم القديم يطلقونها ، المصريون يمارسون الختان أما غيرهم فلا يفعلون)) . كان هيرودتس يصغي جيدا لما يقوله الناس ويطرح الأسئلة المهمة ، ويقارن بين المجتمعات ويحلل سلوك الجماعات ويبحث عن الأسباب ثم يضع التفسيرات . ووصف طرق معيشة المجتمعات التي زارها والأدوات التي تستعملها وتحدث عن المرأة ووضع فروض عن أصل اللغة وبين كيف يحدث التقليد والمحاكاة بين الشعوب ثم وضح كيف يتم الامتزاج الثقافي بين الحضارات . هذه المعلومات التي ذكرها هيرودتس في كتابه " التواريخ " هي معلومات انثربولوجية [2] ولما انتهت الحضارة اليونانية وجاءت بعدها الحضارة الرومانية توجهت جهود هذه الحضارة نحو الانجازات المادية والعملية [3] ولم تهتم كثيرا بالعلوم النظرية مع ذلك قدم المؤرخ الروماني كاروس لوكرتيوس (٩٨ – ٥٥ ق . م) أفكار عن التطور والتقدم الإنساني ، ووصف المجتمع الألماني وكتب عن عاداته وتقاليده وفنونه وأزيائه . [4] بعد سقوط روما عاصمة الحضارة الرومانية على يد القبائل الحرمانية ٤٧٦ م انتهت الحضارة الرومانية في القسم الغربي من أوربا وبدأت فترة العصور المظلمة .

ثانيا – العصور الوسطى :

في القسم الغربي من أوربا أطلق على مرحلة العصور الوسطى بالعصور المظلمة حيث ساد النظام الإقطاعي في معظم المدن وأثرت طبيعة النظام الإقطاعي على الحياة الاجتماعية وبدأت هذه المجتمعات تفقد نشاطها وحيويتها وازدهارها وأخذت تضمحل . وهذا يرجع في نظر علماء الانثربولوجي الى بدء التغير الاجتماعي وضعف الحالة الديناميكية في المجتمع ، مما سبب في تفكك وتلاشي بعض الأنظمة الاجتماعية ، ويطلق علماء السوسيو انثربولوجي على مثل هذه الحالة بـ Culture log والتي تعني تدهور بعض الأنظمة الاجتماعية على حساب تضخم النظم الاجتماعية الأخرى (٥) وعندها يختل التوازن في عمل هذه الأنظمة الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي للمجتمع مع ذلك وجدت كتابات للأسقف ايزدور (٥٦٠ – ٦٣٦ م) (٦) يتحدث فيها عن بعض السلالات البشرية التي غضب الله عليها فغير ملامحها وأخلاقها وتشمل هذه الكتابات على بعض الأفكار الإنثربولوجيا ، وفي الشرق ازدهرت حضارتين في مرحلة العصور الوسطى ، الحضارة البيزنطية وهي القسم الشرقي من الحضارة الرومانية ، واستمرت الحضارة البيزنطية من عام (٤٧٦ م الى عام ١٤٥٣ م ، احتفظت هذه الحضارة بالتراث العلمي والفلسفي اليوناني وانتقل هذا التراث الى أوربا بعد سقوط عاصمتها القسطنطينية . أما الحضارة الثانية التي ازدهرت في مرحلة العصور الوسطى هي الحضارة العربية الإسلامية تميزت هذه الحضارة بتعدد مراكزها الحضارية (الثقافية) على امتداد مساحة الدولة الإسلامية الشاسعة ، لقد أنجبت الحضارة الإسلامية العربية العديد من العلماء في شتى مجالات العلوم والمعرفة الإنسانية ويعتبر ابو الريحان محمد بن احمد البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨) من أشهر العلماء الذين اهتم بوصف المجتمعات البشرية في تلك الفترة . سافر الى الهند ووصف الحياة الاجتماعية وأحوال السكان ودرس اللغة الهندية ووجد إنها تأثرت بنظام الطبقات الهندوسي واكتشف ان لغة الطبقة الراقية في المجتمع الهندي تختلف عن لغة الطبقة الدنيا وقارن بين اللغة العربية واللغة الهندية ثم قارن بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية واستنتج بعد هذه المقارنة عن وجود توافق بين الفلسفة الفيثاغورية والفلسفة الأفلاطونية الجديدة من جهة والحكمة والتصوف من جهة أخرى وفي نهاية بحثه صرح البيروني بان بلاد الهند مع ازدهار الحكمة وكثرة الفلاسفة إلا

إنها لم تنجب فيلسوفا مثل سقراط اليوناني [٧] ، والرحالة الآخر هو احمد بن فضلان [٨] مبعوث الخليفة المقتدر العباسي الى ملك الصقالبة (البلغار) بدا رحلته من خوارزم وعبر السهوب حتى وصل الى بلاد الصقالبة في عام ٩٢١ م وقدم ابن فضلان معلومات مفيدة عن الشعوب التي مر بها . قاما بوصف شعب الاوغوز وهم بدو رحل ووصفهم ابن فضلان " بالحمير المتوحشة" وذكر عنهم إنهم يقدسون المياه الجارية ويصنعون أنصاب من الخشب على قبور المحاربين الأبطال ومن هؤلاء الاوغوز ظهر السلاجقة . وقسم ابن فضلان مجتمع الاوغوز الى نصفين نصف بدو والنصف الآخر حضر ، وبين تأثير الشامان عليهم وفي نهاية رسالته الى الخليفة العباسي أوصى بالتجارة معهم [٩] وذكر الرحالة ابو دلف الذي زار قبائل البوشناق والكيموك والاوغوز والقرقيز نوع معين من الحجر عند هؤلاء الأقوام كانوا يستمطرون به السماء [١٠] ، أما المرزوي الذي ألف كتاب طبائع الحيوان تحدث عن الأجناس البشرية ووصف شعوب سيبريا الشمالية (الغوريين) وقال عنهم إنهم من أكلة لحوم البشر [١١] ووصف ابن بطوطة الشعوب التي زارها في رحلته التي بدأها من بلاده مراكش مرورا ببلدان أفريقيا ثم زار جزر المحيط الهندي حتى وصل الى جاوة ثم رحل الى الصين ومن الصين سافر الى بلدان آسيا الوسطى حتى وصل نهر الفولغا في روسيا . وألف قاضي طليطلة احمد بن صاعد الاندلسي كتاب طبقات الأمم وقسم الأمم الى طبقتين الأولى الأمم التي عنيت بالعلوم والثانية الأمم التي لم تعن بها . [١٣] وأشار ابن خلدون الى وجود مجتمعات متوحشة ومنعزلة عن الحضارة تغيرت ملامحها وسلوكها بسبب تواجدها في المنطقة الاستوائية وقسم المجتمعات الى مجتمعات حضرية ومجتمعات بدوية ثم قسم المجتمعات البدوية الى مجتمعات تمتهن الزراعة والرعي ومجتمعات بدوية لا تمتهن الزراعة وتعيش في القفار . [١٤]

كان الغالب على طريقة المؤرخين في عصور ما قبل النهضة الأوربية هو عدم الاهتمام بالبحث عن الحقائق وكثرة المبالغات والخرافات والأساطير في كتاباتهم واستمروا على هذا المنوال الى فترة ما قبل النهضة حيث نجد الرحالة الايطالي ماركوبولو (١٢٧١ — ١٢٨٨ م) الذي زار الصين والهند وبعض بلدان أفريقيا . تحدث في كتابه " العجائب والغرائب " عن السحرة في الهند الذين يحولون النهار الى ليل والطيور العملاقة في زنجبار وقصص ومبالغات لا يمكن للعقل البشري أن يصدقها [١٥] ، ويرجع سبب المغالطات التي يقع فيها مؤرخي عصور ما قبل النهضة الى عدة أسباب منها رواسب الفكر الأسطوري لحضارات الشرق القديم وهيمنة المنظومة المعرفية الأرسطية على الفكر

الفلسفي الإنساني ، كقوانين الفكر الأرسطي التي لا تسمح بتوليد أفكار جديدة من أفكار متناقضة وطريقة القياس الصوري التي تجعل الحقائق نسبية ، والسبب الآخر هو قلة الاتصالات ووسائل النقل مما اوجد قطيعة معرفية بين العلماء في ذلك العصر [١٦] ومثالا على ذلك كانت طريقة البحث التجريبي معروفة عند بعض علماء المسلمين كجابر بن حيان والحسن بن الهيثم ولكن هذه الطريقة العلمية التجريبية لم يكتب لها الذيوع والانتشار في الأوساط العلمية بسبب العوامل الآنفة الذكر [١٧] .

ثالثا - عصر النهضة الأوربية :

إن الوعي بحالة التخلف هي التي دفعت الطبقات الاجتماعية في المدن الايطالية كالبندقية وفلورنسا وجنوة وغيرها للتعاون والعمل على الخروج من حالة التخلف وبمساعدة الحكام والتجار ورجال الدين أسست المعاهد والمكتبات العلمية وترجمت أهم المؤلفات الإسلامية في الفلسفة والطب كمؤلفات ابن سينا وابن رشد والغزالي وجرى البحث عن نصوص يونانية مترجمة للعربية في عدة أماكن من الأندلس كطليطلة وغرناطة [١٨] وكُرم النوابغ في العلوم والفنون وبذلت جهود حثيثة لتحسين نمط الحياة في المدن الأوربية كالعناية بالتعلم والصحة والطرق وهندسة البناء وصناعة السفن العابرة للمحيطات واحتضنت المدن الأوربية عدد من علماء الحضارة البيزنطية الذين هربوا من القسطنطينية وحملوا معهم كتب التراث اليوناني القديم الذي ترجمت نصوصه فيما بعد الى اللاتينية مباشرةً واخترعت المطبعة عام ١٤٥٧ م فاصبحت الصحف والكتب في متناول الجميع لذلك أطلق على هذه الحالة من الحراك الثقافي بالنهضة الصغرى [١٩] وبذلك أصبحت النهضة الصغرى نقطة الانطلاق للنهضة الأوربية الكبرى التي بدأت في ايطاليا في القرن السادس عشر الميلادي وعمت أوربا جميعها بعد فترة وجيزة وفي عام ١٤٥٨ م سقطت غرناطة وانتهى الحكم العربي في الأندلس وبذلك سيطرت الدولتين القويتين في شبه القارة الايبرية وهما اسبانيا والبرتغال على بلاد الأندلس .

المبحث الثاني

الاستكشافات الجغرافية والمجتمعات البدائية

أولا - الاستكشافات الجغرافية :

تقدم فن الملاحة في هاتين الدولتين وهما اسبانيا والبرتغال لأنهما كانا على اتصال وثيق بثقافة العرب وتقدمهم العلمي واطلاعهم على نظريات يونانية وعربية تثبت كروية الأرض واستخدامهم البوصلة والإسطرلاب العربيتين في سير واتجاه السفن في البحار [٢٠] وأصبح في مقدور البحارة في هاتين الدولتين ان يتوغلوا في عرض المحيط . وبدا الأمير البرتغالي هنري الملاح حملته البحرية من مراكش وتوغل في أفريقيا جنوبا ووصل البرتغالي فاسكو دي غاما الى الهند ١٤٩٨ . أرسلت اسبانيا كولومبس فاكتشف جزر الهند الغربية (أمريكا الوسطى) عام ١٤٩٢ [٢٢] ثم اكتشف المكسيك ومعظم قارة أمريكا الجنوبية ماعدا البرازيل التي احتلها البرتغاليون فيما بعد واكتشف الفرنسيون كندا وتوغلت الجاليات الأوربية في الأراضي التي تعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية وسيطر البريطانيون على استراليا وجزر المحيط الهادي (اوشينا) التي تضم نيوزلندا وبنما وجزر غينا الجديدة وكالدونيا . وفي عام ١٥٢٢ نجح ماجلان بالدوران حول الأرض وبذلك اثبت كروية الأرض لأول مرة عمليا . كانت نتيجة هذه الاكتشافات الجغرافية مذهلة على الغرب والعالم . [٢٣]

ثانيا - المجتمعات البدائية :

عرف العالم لأول مرة بوجود شعوب ومجتمعات في القارات المكتشفة حديثا ، أطلق الأوربيون عليهم اسم المجتمعات البدائية [٢٥] ، هذه الشعوب تتباين في درجة تطورها الحضاري وهي تختلف عن الشعوب الأوربية فقسم من هذه المجتمعات البدائية تمر بمرحلة جمع القوت والصيد كالمجتمعات التي وجدت في استراليا وجزر المحيط الهادي ووسط وجنوب أفريقيا وفي الامزون ومناطق منعزلة في أمريكا الشمالية ، أما الغالبية العظمى من هذه المجتمعات البدائية هي مجتمعات قبلية وعشائرية وأطلق العالم الأمريكي موركن (١٨١٨ — ١٨٨١) على المرحلة التي تمر بها هذه المجتمعات القبلية بالمرحلة البربرية ،وتمتهن هذه المجتمعات القبلية الزراعة

وتدجين الحيوانات والصيد وتصنع الأدوات البسيطة كأدوات الصيد والزراعة والأواني الفخارية والحاجات الضرورية الأخرى وتسكن كل قبيلة في منطقة جغرافية وفي بعض الأحيان تجتمع أكثر من قبيلة في منطقة جغرافية واحدة ، كقبائل الاوركوي في أمريكا الشمالية وحيث إن اغلب سكان أمريكا الشمالية بدأ من الاسكيمو حتى نهاية قارة أمريكا الجنوبية هم من الهنود الحمر تنتشر بينهم ديانات عديدة كالشامانية وعبادة الآلة الهوائية وعبادة الحيوانات (الدب والذئب والغراب والنمر) وعبادات أخرى كعبادة آلهة الليل والقمر والشمس والحرب ، وتنتشر كذلك العبادات الطوطمية (عبادة الأسلاف من إنسان وحيوان ونبات) [٢٧] ، أما في استراليا وجزر المحيط الهادي وجدت مجتمعات متوحشة ومجتمعات بربرية والمجتمعات التي تعيش المرحلة الوحشية لا تعرف الزراعة وتأنيس الحيوانات وإنما تعتمد على الصيد وجمع القوت وتفتقر الى أي نوع من التنظيم الاجتماعي وهم لا يسكنون بيوتا وإنما يعيشون في الجبال وبين الأشجار وتنتشر بينهم الديانة الطوطمية ويعتقدون بالأرواح الشريرة والسحر ويقيمون طقوس واحتفالات راقصة ، أما بقية المجتمعات وخاصة في جزر المحيط الهادي كشعوب الميلانيز والبولينيز يقوم اقتصادهم على زراعة البساتين وصيد السمك وصناعة الزوارق والأدوات المنزلية [٢٨] ويلعب السحر دورا هاما في حياتهم ، وتنتشر الجمعيات السرية بدلا من النظام القبلي في معظم جزر المحيط الهادي حيث ينتظم الأفراد في جماعات وهم يعتقدون ان الأرواح تحضر اجتماعاتهم وترشدهم في الحياة [٢٩] وتنقسم هذه الجمعيات الى جمعيات رئيسية تضم الشخصيات المهمة في المجتمع أما الفرعية فهي لعامة الشعب ويكابد الشخص في قبوله لهذه الجمعيات مشقة عظيمة والرقص من أهم أسرار الجمعية أو طقوسها . ويتوارثون هذه العادات والتقاليد بالتلقين جيل بعد جيل ، وهم يتفننون خرافاتهم واقاصيدهم وحكاياتهم بهذه الصورة . [٣٠] بالإضافة الى مجتمعات العالم الجديد وجدت مجتمعات بدائية أخرى في وسط وجنوب أفريقيا وفي بعض جزر المحيط الهندي . هذه المجتمعات لا تختلف عن المجتمعات البدائية الأخرى في مراحلها التطورية . [٣١]

خضعت هذه الشعوب لدراسات علمية أهمها الدراسات البايولوجية التي شملت الملامح الجسدية والصفات المميزة للإنسان البدائي ومقاييس الجسم والوراثة وصفات الدم والبقايا العظمية (الحفريات) ، واهتم علماء اللغة Linguistics بدراسة لغاتهم البدائية (الغير مرتقية) من حيث أصولها التاريخية وأبنيتها وأشكالها وتطورها والعلاقة بينها واستخدموا المناهج الوصفية

والتاريخية وعلم اللغة المقارن [٣٢] ولكن معظم دراسات الانثربولوجيا ركزت على الجوانب الاجتماعية والثقافية لهذه المجتمعات البدائية وكانت هذه الدراسات أما دراسات ميدانية أو دراسات اعتمدت على المعلومات الغزيرة التي جمعها الرحالة والمبشرون وموظفي الحكومات الأوربية ومؤلفي الأدب القصصي والصحفيين طيلة قرون عصر النهضة والتي تجمعت في الجامعات الأوربية والمكتبات العامة وغيرها . [٣٣]

درس علماء الانثربولوجيا والاجتماع الأنظمة الاجتماعية التي تتكون منها هذه المجتمعات البدائية واهتموا بدراسة الدين والدور الذي يلعبه في المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي وتماسك المجتمع وتوجيه سلوك الأفراد باتجاه معين ثم بينوا اثر الدين على بقية النظم الاجتماعية [٣٤] ووصفوا أنواع العبادات في المجتمعات البدائية . كيف تنوعت هذه العبادة كعبادة الموتى والأسلاف وعبادة الحيوانات والنباتات والجمادات وعبادة الآلة المتعددة ، ودرست اعتقادات هذه الشعوب كالاعتقاد بالمانا والتابو والطوطم و الارواحية والأحلام و الأشباح و الحلول وأنواع السحر الذي كانت تمارسه تلك الشعوب كالسحر الضار والسحر النافع والسحر الوقائي والتعاطفي ودور الساحر الكاهن (الشامان) ووصفوا كذلك الطقوس الدينية كطقوس الإرضاء وتشمل الرقص وتقديم القرابين والتراتيل وطقوس الخصوبة لتكثير النباتات والحيوانات في الطبيعة [٣٥] أما نظم الزواج والعائلة والقرابة شانها شان النظم الأخرى نشرت عنها دراسات كثيرة ، ووصف الباحثون الخطبة والصداق وأنواع الزواج كالزواج الأحادي والمتعدد الزوجات او الأزواج وذكروا أنواع أخرى من طرق الزواج كالزواج المفضل وزواج الشبح وزواج الأسر والزواج الداخلي والخارجي وأنواع أخرى غيرها [٣٦] . وقسموا المجتمعات الى مجتمعات أصلها يرجع الى الأم التي تكون السلطة والإرث بيد المرأة ومجتمعات أبوية وتكون السلطة بيد الرجل وهناك بحوث أخرى عن العقل البدائي والعادات والتقاليد الغريبة التي تتصف بها بعض هذه المجتمعات فبعضهم يعتقد إن أرواح الأسلاف تنتقل من الرجل الى المرأة وتسبب الإنجاب أو يقوم الرجل في بعض هذه القبائل بدور المرأة النفساء وعن حفلات قلع الأسنان وحفلات الختان والتكريس وتناولوا أيضا جوانب أخرى في دراساتهم عن هذه المجتمعات كدراسات تحديد مصطلحات القرابة وسلوك التجنب والتصرف بين الأفراد الذين يرتبطون بقرابة أو نسب [٣٧] درست أيضا الدوافع Motive التي تجعلهم يسلكون سلوكا معينا للحصول على الأشياء ومقاييس

القيم Value والأعراف Coustms ودرجة الالتزام بها والجزاءات العرفية والقانونية التي تطبق من قبل السلطة في هذه المجتمعات . ونشرت بحوث عن اللغة البدائية التي ألفاظها أحادية المقطع ولا فرق بين الاسم والفعل والحرف وكذلك الأعداد التي تستند في عدها على اليد والقدم والإشارات التي يستخدمون فيها بعض حركات الجسم لإكمال وتوصيل المعاني الى الآخرين كتعويض عن تقصير اللغة التي يستخدمونها (٢٨) وتحدث القس لافيتو عن الأخلاق والصفات الشخصية التي يتمتع بها الرجل البدائي وخاصة في مجتمعات الهنود الحمر (٢٩) لهذا لم يترك الباحثون جانبا من هذه المجتمعات إلا وأخضعوه لطرق المقارنة والتحليل والتفسير .

أما الحياة الاقتصادية التي تعيشها هذه المجتمعات فكان لها مجال للبحث أيضا فمفهوم الاقتصاد يدور حول نشاط الإنسان من اجل إشباع حاجاته من الغذاء والخدمات والسلع وركزت هذه الدراسات على أوجه الحضارة البدائية التي تتعلق بإنتاج واستعمال المرافق والأدوات مثل المساكن والمعابد ووسائط النقل والأسلحة والملابس والآلات الموسيقية والتماثيل والأقنعة والأدوات الفخارية والخشبية والأصباغ وأدوات الخياطة والحياكة والنسيج وأشياء أخرى يحتاجها الإنسان ووصفوا اقتصاد هذه المجتمعات بأنه اقتصاد كفاف ، وتقسيم العمل بسيط ، يعتمد على التبادل وعلى المقايضة مع وجود نقود بدائية كالأحجار الثمينة أو القواقع أو الصدف أو أسنان الحيوانات أو الخرز وبعض النقود المعدنية .(٤٠)

أثيرت أسئلة كثيرة حول أصل هذه الشعوب هل هي من أصل ادم Pre - admites او هم أجناس قبل ظهور ادم Poly - genetic او من القبائل العشرة المفقودة التي ذكرها سفر التكوين (٤١) وعن المراحل التطورية التي تمر بها هذه الشعوب البدائية ، هل هذه المراحل مرت بها جميع الشعوب الأوربية في العصور الغابرة ؟ كما ان بعض الفلاسفة الاجتماعيون في انكلترا وفرنسا الذين دعوا الى نظرية العقد الاجتماعي وجدوا في هذه الشعوب البدائية ضالتهم لإثبات نظرياتهم ، ففي بريطانيا اعتبر لوك وهوبز ان هذه الشعوب تمر بالمرحلة الطبيعية التي مرت بها جميع المجتمعات الإنسانية في بداية نشوئها على الأرض ، وهي مرحلة كان الإنسان لا يفقه شئ ويعيش في حالة صراع ونزاع مع غيره ، اما المفكر الفرنسي جان جاك روسو رفض فكرة إن الإنسان كان يعيش حالة الصراع مع أخيه الإنسان بل اعتقد إن الإنسان كان يعيش حالة سلام ووئام في بداية وجوده على الأرض (٤٢) . وصرح الانثربولوجيون الأوائل ان هناك دلائل على وجود

أصل النظم الاجتماعية في هذه المجتمعات ، وزعم الانثربولوجيون المعاصرين ان المجتمعات البدائية تعرض النظم الاجتماعية في ابسط صورها ، وتأكدت هذه الحقيقة عندما حاول العالم الانثربولوجي راد كليف براون (١٨٨١ – ١٩٥٥) والعالم مالنوفسكي (١٨٨٤ – ١٩٤٢) دراسة النظم الاجتماعية في المجتمعات المدنية وفي المدن الكبرى ، فظهرت لهم صعوبات جمة بسبب كبر هذه المجتمعات وتعقدها وتشابك العلاقات الاجتماعية المكونة للنظم الاجتماعية لهذا ساد رأي عند هؤلاء العلماء وهو من الأفضل دراسة المجتمعات المحلية الصغيرة التي تمتاز بدرجة من البساطة واتساق الثقافة بحيث يمكن ملاحظة عمل أنظمتها الاجتماعية المختلفة كنظم السياسة ونظم الاقتصاد ونظم العائلة ونظم القرابة وغيرها [٤٣] ، هذه النظم التي يتشكل فيها كل نظام من خلال تماثل مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتشابهة بين الأفراد بحيث يصبح لكل نظام وظيفة معينة في المجتمع تختلف عن الوظائف التي تقوم بها الأنظمة الاجتماعية الأخرى التي ترتبط معها داخل البناء الاجتماعي للمجتمع وهذه الأنظمة جميعها تتساند وتتلاحم فيما بينها من اجل حركة وتطور وديمومة المجتمع [٤٤] . لهذا يمكن ملاحظة المجتمع المحلي الصغير ككل متساند وبصورة ابسط . لقد قادت هذه الطريقة الى دراسة مجتمعات كبيرة فالعالمة الأمريكية روث فولتن بندكت (١٨٧٨ – ١٩٤٨) درست الحضارة اليابانية بعد إن قامت قبل ذلك بدراسات ميدانية على مجتمعات صغيرة للهنود في أمريكا كقبيلة الزين والكوجتي والبيما ، فكان كتابها " الاقحوان والسيف " الذي نشر عام ١٩٤٦ ، وفيه حللت المؤلفة النظام القيمي للمجتمع الياباني بأكمله واستفادت حكومة الولايات المتحدة من هذه الدراسة [٤٥] وأصبح من الضروري لطلبة الانثربولوجيا التدريب على دراسة المجتمعات المحلية سواء كانت بدائية او متخلفة او قروية . قبل الشروع بدراسة المدن الكبرى . ويقول العالم البريطاني السير ايفانز برتشارد " إن هذه المجتمعات التي أطلق عليها المجتمعات البدائية ، الكثير منها تملك ثقافات وحياة اجتماعية ربما تكون أفضل من الثقافة الأوربية في بعض الجوانب وان كلمة بدائي لا تنطبق على إغلب هذه المجتمعات ، وان كلمة بدائي اختيار غير موفق ولكنها أصبحت اصطلاحا واسع الذيوع والانتشار في علم الانثربولوجيا الى حد لا يمكن معه تجنبها " [٤٦] ويحدد ايفانز برتشارد معنى المجتمعات البدائية فيقول " هي المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان او المساحة او تشعب العلاقات الاجتماعية وهذه المجتمعات تمتاز ببساطة الفنون الآلية

والاقتصادية وقلة التخصص في الوظيفة الاجتماعية إذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة "(٤٧) ويحب بعض الانثربولوجيون ان يضيفوا الى ذلك مقاييس ومعايير أخرى أهمها عدم وجود تراث مكتوب وبالتالي عدم وجود أي فن أو علم أو لاهوت منهجي منظم في هذه المجتمعات البدائية او المتخلفة وبعد سيطرة الدول الأوربية على أراضي وخيرات هذه الشعوب ، تحسنت الأحوال الاقتصادية لبلدان أوربا وأصبحت هذه البلدان ثرية وقوية ودفع النمو في الميزان التجاري الى زيادة عجلة التطور العلمي والصناعي ومع المستجدات السياسية والعسكرية والدينية على الساحة الأوربية والعالمية التي أفرزتها الاستكشافات الجغرافية والعلمية تفاعلت هذه العوامل وأدت الى ظهور تغيرات جذرية في الحياة الاجتماعية الأوربية من ناحية العادات والتقاليد (٤٨) ، واختفت صورة الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في العصور الوسطى ونشأت ثقافة اجتماعية في الحياة الأوربية يطلق عليها اليوم بالثقافة الغربية حيث تغيرت نظرة الأفراد الى الحياة والكون وانتشرت بين الأفراد ممارسات جديدة وهويات لم تكن موجودة في المجتمع الأوربي كالرياضة وقراءة الصحف والمجلات ونشأت مؤسسات صحفية أصبح لها دور في توجيه حياة الأفراد في المجتمع وكان لهذه المؤسسات دورا مهما في نقل الأخبار المثيرة والغريبة عن المجتمعات البدائية الى القارئ الأوربي المتحمس لقراءة كل ما هو غريب عن مجتمعاتهم ولهذا كانت المعلومات التي ينقلها الرحالة وغيرهم عن هذه المجتمعات تجانب الحقيقة وكما يقول العالم الأمريكي وليم كرهام سمنر (١٨٤٠-- ١٩١٠) W.G.Samner " إن معظم هذه الحقائق معروضة بطريقة قد تكون مظللة ومرتكزة على فهم غير واضح للمبادئ "(٤٩) بعد فترة تكونت معلومات هائلة عن هذه الشعوب في المراكز العلمية والإدارية في أوربا ، ونقلت الكثير من مقتنيات هذه الشعوب من أدوات فخارية وأسلحة وملابس ورسوم وحفريات وآثار الى أوربا حتى نقلت نماذج حية للإنسان البدائي ، عرضت هذه الأشياء في المتاحف الأوربية ، وكليات الطب ولذلك نرى إن الاهتمامات الانثربولوجيا العلمية بدأت من كليات الطب التي درست البقايا المادية والعظام وفصائل الدم لعدد من أفراد هذه المجتمعات الذين جلبوا الى أوربا لغرض دراستهم ودراسة السلالات التي ينتمون إليها (٥٠) . أطلق على هذه الدراسات بالدراسات الانثربولوجيا الطبيعية او الانثربولوجيا البايولوجية .

الفصل الثاني

الانثربولوجيا في القرن التاسع عشر

المبحث الأول

الانثربولوجيا الطبيعية : Physical Anthropology

ركزت الدراسات الانثربولوجيا الطبيعية في القرن الثامن عشر الميلادي على وصف الاختلافات والتباينات في المعالم الفيزيقية (الجسدية) بين شعوب العالم القديم وشعوب العالم الجديد وظهر مصطلح الانثربولوجيا في عام ١٨٠٥ ولاول مرة في كليات الطب في أوربا واهتم بدراسة الانسان من النواحي البايلوجية والفروق التي تميز السلالات البشرية . وقام العالم جوهان فرديك بلومناخ Blumenbach[٥١] (١٧٥٢ – ١٨٤٠) باستخدام علم الانثروبومتري لبيان الفرق بين السلالات البشرية والفروق بين الذكر والأنثى ، وحددت الأعضاء التي يمكن تمييز السلالات بها كالرأس وعظم الفخذ وعظم اللوح وعظم العجز والأنف وذلك بتقسيم العرض على الطول وتضرب في مائة والناتج هو" معامل العضو البشري "وبه تميز السلالات البشرية. واستخدم العالم كامبير Campar[٥٢] الأساليب الكمية في البحث وبوجه خاص مقياس الزاوية الوجهية Facid Angle إضافة الى الملامح الوجهية مثل شكل الوجه والذقن وحجم الأسنان وشكل الفخذ ومعامل الأنف فمثلا عندما تميل العين الى الضيق مع وجه مكتنز والأنف ضيق المسالك فهذه تعتبر ملامح الشعوب القاطنة في المناطق الجليدية كالاسكيمو أما الشعر المجعد والأنف الأفطس فهي من صفات إنسان المناطق الاستوائية وذلك لحمايتها من أشعة الشمس والهواء الحار . واستعمل الدكتور هادون [٥٣] عامل طول القامة واعتبر متوسط القامة ١٦٥ سم وتطورت الانثربولوجيا الطبيعية نتيجة نظرية التطور الداروينية ، ومنهج تايسون Tyson[٥٤] المقارن الخاص بالدراسات الانثربولوجيا الطبيعية ، لهذا أصبحت موضوعات الدراسات الانثربولوجيا الطبيعية (البايولوجية) تعتمد على علم التشريح الإنساني المقارن والتطوري الذي يستند على علم الحفريات حيث كشفت هذه الحفريات عن وجود كائنات عضوية كانت تعيش في فترات غابرة من التاريخ يمتلك نظامها العضوي نظاما معقدا أكثر من الإنسان [٥٥]

وأظهرت هذه النتائج ضعف نظرية داروين في التطور الإيحائي وجاءت بعد ذلك النظرية الوراثية لماندل [٥٦] Mandel لتثبيت حقيقة التنوع في الكائنات الحيوانية والنباتية وأثبتت نظرية ماندل إمكانية التحكم في السمات والملامح الفيزيقية عن طريق عملية التغير المفاجئ Multation بعد ذلك سادت النظرية التركيبية على الدراسات الانثربولوجيا الطبيعية فهي تجمع بين نظريات دا روين وماندل ونظرية التغير المفاجئ والوراثة البشرية . في ضوء هذه النظرية التركيبية استطاع العلماء ان يفسروا التطور كتغير يحدث في الجينات الوراثية على مراحل زمنية [٥٧] ، وادخل موضوع نمو الأسنان بعد الولادة في الدراسات الانثربولوجيا كنمو الأسنان ونوعها وترتيبها والعوامل التي تؤثر على نمو الإنسان [٥٨] . ظهرت دراسات عن التهجين والامتزاج بين السلالات وظهور سلالات هجينة كما هو الحال مع سكان جامايكا الذين هم من امتزاج الزنوج والبيض او التهجين الذي حصل بين السلالات الأفريقية والسلالات الصفراء كما هو الحال مع سكان ميلانيزيا واندونيسيا[٥٩] ، وكذلك أجريت بحوث عن العلاقة بين بنية الجسم واختلاف السلوك الإنساني على ان أهم النتائج التي أفرزتها الانثربولوجيا الطبيعية هي إن عوامل الوراثة وتقسيمات فصائل الدم وجيناته DNA والأجسام المضادة وبعض الأنساق التي وجدت في الدم [٦٠] . استطاع العلماء بها أن يميزوا الإنسان الواحد عن غيره من البشر ، وأظهرت النتائج بعدم وجود علاقة بين البشر والقرود ولا وجود لسلالات نقيه حاليا بين الأجناس فقد وجد ان السلالات الرئيسية هي السلالة البيضاء والسوداء والصفراء جميعها تشترك بصفات دم مشتركة [٦١] وبينت الانثربولوجيا الطبيعية اثر المناخ والتضاريس على الأفراد وعلى البنية والملامح واللون وعمل أجهزة الجسم [٦٢] . وكذلك وضحت ان شعوب مناطق الغابات تمتاز ببشرة داكنة وقامة قصيرة خاصة سكان الغابات وذلك لإقامتهم الطويلة في تلك الظروف والبيئة وجد أيضا إن قامة البشر تزداد طولا كلما ابتعد عن منطقة المدارين وخاصة المنطقة المعتدلة . أما المنطقة الشديدة البرودة تقل منها طول الإنسان وتقصر أطرافه وتعرض صدورهم ولا ينطبق هذا على سكان المرتفعات . أما سكان الصحاري فتطول قاماتهم وتنحف أجسامهم [٦٣] .

المبحث الثاني

الدراســـات الاثنوغرافيـــة

يعرف القاموس البريطاني "أكسفورد Oxford" الدراسات الاثنوغرافية Ethnography بأنها الدراسة الوصفية العلمية للأعراق او الأجناس البشرية (٦٤) . أما القاموس الأمريكي "العالم الجديد New World Dictionary" فيعرف الاثنوغرافية هي ذلك الفرع من الانثربولوجيا الذي يقوم بالوصف العلمي للثقافات ولا سيما المجتمعات البدائية أو المتخلفة (٦٥)، والدراسات الاثنوغرافية دراسة وصفية للمكان تستند على الملاحظة المباشرة التي يسجلها الباحث عن مجتمع البحث . بدأت هذه الدراسات مع الرحالة وغيرهم من الذين كتبوا عن المجتمعات البدائية في العالم الجديد وفي مناطق أخرى من العالم التي وقعت تحت السيطرة الاستعمارية الأوربية في ذلك العصر . لهذا نجد إن معظم هذه الكتابات في تلك الفترة تخدم قضية الاستعمار(٦٦) صورت كتاباتهم هذه الشعوب بانها تعيش في عزلة وفقر وتكثر بينهم النزاعات . تغيرت صورة الإعلام الغربي عن هذه الشعوب في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي فبدلا من صورة الإنسان البدائي الجاهل القاس القلب والمتوحش حولته الصحافة الأوربية الى ذلك الإنسان المحب والمسالم النبيل وهو يحتاج العون من أخيه الإنسان الأوربي ويجب تقديم المساعدة له (٦٧) . إن هذا التحول الإعلامي جاء نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية وعسكرية فقد اشتد النزاع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ الغنية بمواردها الاقتصادية وخاصةً حاجة هذه الدول الاستعمارية الى دعم السكان المحليين لها في المجهود الحربي ، وظهور المقاومة الوطنية بين هذه الشعوب ، ودعوة مجموعة من العلماء والمفكرين على الحفاظ على هذه المجتمعات البدائية التي تمثل ماض الإنسانية لان هذه الشعوب سوف تتغير وتزول بسبب الاحتكاك الثقافي مع الحضارة الأوربية (٦٨) . لقد دعى العالم البريطاني السير ادوارد ايفانز برتشارد الى دراسة هذه المجتمعات دراسة علمية دقيقة والابتعاد عن الأحكام المتسرعة فالذم والمدح لا يقدم ولا يؤخر والدراسة العلمية هي التي سوف تؤدي الى فهم هذه الشعوب ومساعدتها فهذه الشعوب تمثل طفولة الإنسانية الأولى أو صورة الأسلاف للنوع الإنساني ، ومعظم هذه المجتمعات لها تاريخ وقيم ولها أنظمة وتراث شعبي وطقوس (٦٩) . نعم هنالك عدد من

المجتمعات البدائية المعزولة تماما تمر بحالة التوحش ولكن ليس جميع هذه المجتمعات البدائية متوحشة او تاكل لحوم البشر . فهناك من أثرت عليهم البيئة والوقائع التي مرت بهم جعلتهم يشذون عن الحياة الإنسانية الطبيعية وبعض الجماعات المعزولة تكاثرت عن طريق أسلاف مصابين بأمراض عقلية وعضوية . يقول كريستوف كولومبس في وصفه لسكان الكاريبي ((إن أهل تلك الجزيرة عراة ... إنهم ليست لديهم أسلحة سواء من الحديد او الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أية حال ، ولا يرجع السبب في ذلك الى إن أجسادهم غير قوية ، او قوامهم غير معتدل ولكنهم مسالمون بشكل يستحق الإعجاب)) [٧٠] وأشهر الدراسات الاثنوغرافية هي التي قام بها العالم الانكليزي غراي Gray الذي درس عادات وتقاليد سكان استراليا الأصليين وحلل مجموعة من النظم الاجتماعية وتتبع نموها وأصولها البعيدة وقارن بين النتائج التي توصل اليها وبين نتائج الباحثين في مجتمعات الهنود الحمر في أمريكا وانتهى الى نتيجة هامة ان ديانة الهنود الحمر الطوطمية في أمريكا الشمالية هي نفسها موجودة عند سكان استراليا الأصليين [٧١] ، وجاء العالم فريزر Frazer وقرر في كتابه الغصن الذهبي ان بقايا النظام الطوطمي منتشرة كرواسب ثقافية في التراث الشعبي Folklore الموجود بين سكان أوربا واسيا وبقية قارات العالم [٧٢] وهنالك دراسات أخرى تعتبر نموذجا للدراسات الاثنوغرافية وهي دراسات العالمان الانكليزيان كلن وبلدوين سبنسر Gllen & B . Spencer لقد تعايشا هذان العالمان لمدة اثنا عشر عام مع القبائل الاسترالية ودرسوا العادات التقاليد وتعلما اللهجات المحلية وحضرا معظم الطقوس والحفلات لتلك القبائل [٧٣] وهنالك الكتابات الوصفية للرحالة ومؤرخي الفترة الاستعمارية فهؤلاء الباحثين لم يحاولوا البحث عن ما وراء الحقائق الظاهرية او معرفة طبيعتها او التاثير المتبادل فيما بين الظواهر الاجتماعية لأنهم لا يعرفون طريقة الملاحظة العلمية وغير متخصصين في الدراسات الانثربولوجيا لهذا لا يعول على دراستهم كثيرا [٧٤] أما الباحثين الاجتماعيين انصبت جهودهم على جميع الحقائق وترتيبها وتصنيفها ثم تفسيرها ، وكانت تعوزهم الخبرة الفنية في التحليل لذلك لم تصل فرضياتهم او نظرياتهم الى قوانين [٧٥] وكانت طريقة الجيل الأول من الباحثين الاثنوغرافيين بان يقوم الباحث اما بوصف المنطقة الجغرافية التي يقع فيها المجتمع المدروس ويقوم بوصف الأعراق او الأجناس البشرية وتصنيفها والمقارنة بينها (بيان أوجه الشبه والاختلاف في ما بينها) ودراسة العلاقات الاجتماعية

والبناء الاجتماعي وأنظمته المختلفة كالنظم السياسية والنظم الدينية والنظم الاقتصادية ومقارنتها بقية الأنظمة في المجتمعات الأخرى(٧٦) وهذه الطريقة اعتمدها العلماء البريطانيين . أما الطريقة الاثنوغرافية الأمريكية (٧٧) فتعتمد على دراسة الثقافة بشقيها المعنوي والمادي في المجتمع الواحد وذلك بوصف القطاع الفكري والرمزي كاللغة والفنون والقيم في مجتمع الدراسة وهذه الدراسة تعتبر دراسة تكاملية أي دراسة المجتمع من كل جوانبه الثقافية والمادية والمعنوية (٧٨) .

ظهرت دراسات اثنوغرافية أخرى وهي الدراسات المتزامنة وهي دراسة أحداث متشابهه تقع في وقت واحد في عدة ثقافات (مجتمعات) ويتم ذلك باستخدام طريقة المقارنة المكانية (الأفقية) (٧٩) إن ما يميز الدراسة الاثنوغرافية هي عدم اهتمامها بالدراسة التاريخية (٨٠) والباحث يجب ان يكون اجتماعيا له إمكانية على إقامة علاقات اجتماعية مع السكان المحليين وقدرة على التخلص من المآزق الحرجة بسهولة وتلافي الحالات الغير متوقعة وعليه أيضا تحمل مشاكل الإقامة والسكن لفترات طويلة والتكيف مع الأوضاع المختلفة التي تحدث في المجتمع المدروس وان يقدم تفسيرات جيدة للأفعال والتصرفات والقرارات التي تبدر من الجماعات والأفراد وان يعطي أهمية قصوى للبيانات الإحصائية ، ثم عليه أن يبرهن على هذه التفسيرات أو النتائج التي توصل إليها (٨١) ، وتعتبر الدراسات الاثنوغرافية حاليا وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية احد فروع الانثربولوجيا العامة .

المبحث الثالث

الدراســات الاثنولوجيـا

يعرف القاموس البريطاني " أكسفورد Exford " الاثنولوجيا Ethnology بأنها علم الأعراق البشرية وعلاقتها بعضها ببعض ، أما القاموس الأمريكي " New World Dictionary " بانها ذلك الفرع من العلم الانثربولوجيا العامة الذي يقارن الثقافات المختلفة بين الشعوب والمجتمعات في توزيعهم وسلوكياتهم وخصائصهم وتراثهم (٨٢) ، ومصطلح الاثنولوجيا يتكون من شقين الأول Ethnos ومعناها باليونانية الشعوب والشق الثاني logy ومعناها علم ، فالمصطلح معناها باليونانية علم دراسة الشعوب (٨٣) . هذه الدراسات ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي وتعني الاثنولوجيا بدراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الناس من حيث العنصر والجنس واللغة والثقافة حيث يقارن الاثنولوجي على أساس تلك الاختلافات أو

المتشابهات ويحاول ان يتوصل الى نتائج عن طريق الاستعانة بالمنهج التكاملي . وعدد المناهج التي يمكن استخدامها تعتمد على حاجة البحث ، ويحذر العالم البريطاني راد كليف براون من تطبيق المناهج التاريخية عن المجتمعات البدائية لان هذه المجتمعات لا تحتفظ بتاريخ مدون وبهذا خالف رأي أساتذته لويس موركان وريفرزر وهم من أصحاب منهج التاريخ الضني (التخميني) [٨٤] الذي يستند على علم الآثار والحفريات وترتيب الوقائع المشهورة في تخمين تاريخ شعب أو امة أو تحديد حادثة تاريخية معينة وقد تخلى ريفرزر بعد فترة عن هذه الطريقة واعتمد طريقة التحليل الاثنولوجي Ethnological Analysis[٨٥] والاثنولوجيا تؤكد على تطبيق الدراسة التاريخية . أي دراسة تطور ظاهرة معينة عبر التاريخ زمنيا وركز الاثنولوجيون البريطانيين على الأجناس البشرية وطريقة تحركاتهم وهجراتهم عبر الزمان والمكان [٨٦] ودرسوا الملامح الفيزيقية لهذه الأجناس واعتمدوا على المصادر التاريخية التي تتعلق بالتصنيفات العنصرية والثقافية فعندما تعرضوا لدراسة الشعوب البولينيزية بحثوا من أين جاءت واي طريق سلكت ومتى احتلت ، وأظهرت النتائج العلمية لهذه الدراسة ان هذه الشعوب جاءت من آسيا وأفريقيا وتاكدت هذه الحقيقة عن طريق بحوث فصائل الدم [٨٧] ودرسوا قبائل الهنود الحمر كيف وصلت الى أمريكا وبعد تطبيق المناهج الاثنولوجية من مقارنات وتصنيفات تمت على أساس الجنس واللغة والملامح والثقافة واستخدمت أيضا مناهج التاريخ والاستقراء والدراسات التي تتعلق بإنسان ما قبل التاريخ (الإنسان الحفري) وعلم الآثار وتبين انها عبرت مضيق (بيرنك) الذي يقع بين روسيا وأمريكا وانتشر قسما منهم في المناطق الجليدية وهم الاسكيمو أما الباقي فانتشروا في القارتين الأمريكيتين ، أما موطنهم الأصلي فهو منغوليا في وسط آسيا [٨٨] ووضحت الطريقة التاريخية والاستقرائية أيضا اثر البيئة والعوامل الأخرى في انقراض بعض المجتمعات او الحضارات[٨٩] وأفرزت الطريقة رواسب الثقافات في السلالات العرقية الحالية كرواسب اللغة والملامح الفيزيقية الموجودة عند بعض الأفراد في المجتمعات وهذه الرواسب تشمل رواسب الثقافة المادية كالملابس والسكن والأدوات والسلع ورواسب الثقافة المعنوية كالعلاقات الاجتماعية والنظم والسلوك والقيم واللغة وتظم العادات والتقاليد والطقوس الدينية والفنون والرموز والحركات الجسمية التي يقوم بها الأفراد [٩٠] . وبهذا الشأن لا بد أن نوضح مفهوم الثقافة عند الاثنولوجيين ويقصد به الثقافة المعنوية والمادية واصغر وحدة في

الثقافة عندهم هي العنصر الثقافي وكل عنصر ثقافي لا يمكن تجزئته وإذا اتحد عنصرين ثقافيين شكلا مركب ثقافي وهذا المركب الثقافي لا يمكن تفكيكه ويختلف معناه عن العناصر المكونة له وجاءوا بمفهوم السمة الثقافية وهي اصغر وحدة تحمل صفات العنصر الثقافي وجعلوا لبعض العناصر الثقافية والسمات أهمية مركزية في المجتمع تدور حول هذا العنصر او السمة كل مكونات المجتمع والأنظمة الاجتماعية والقيم والسلوك ، فعنصر الحصان في المجتمع التتري يؤثر على اجمع عناصر الثقافة في المجتمع كالعادات والتقاليد والسلوك ومثل ذلك عنصر الماء في المجتمع البدوي (٩١) وفي هذه الفترة أصبح مفهوم الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة ونتيجة للتقدم العلمي والثقافي المضطرد في أوربا تأثرت الاثنولوجيا بالنظريات العلمية الحديثة فالوقائع والمستجدات المتلاحقة في المجتمع الأوربي أنتجت ظواهر اجتماعية جديدة ونظريات علمية حديثة كظاهرة انتشار المتاحف في المدن الأوربية التي احتفظت بداخلها آثارا وكنوز الحضارات القديمة وأدوات الشعوب البدائية وبقاياها المادية (٩٢) .

أثارت هذه البقايا المادية اهتمام العلماء فظهرت دراسات ونظريات عن السلالات البشرية والامتزاج الثقافي ومن هذه النظريات نظرية الانتشار Diffusion التي تفسر التغير الحضاري والتطور الذي يحدث للمجتمعات البشرية وارجعوا هذا التطور الى انتقال أدوات ، وتطبيقات ، وأفكار من مجتمع الى آخر عن طريق الهجرة والتجارة والحروب والاستعارة الحضارية وكان العالم اسحق نيوتن وعلماء آخرين من أنصار هذه النظرية فملاحظاتهم عن بعض المجتمعات التي تقدس الشمس جعلتهم يعتقدون ان مصدر هذه الديانات هي مصر القديمة ولاحظوا وجود الأهرامات في المكسيك فزعموا ان هذا النوع من الهندسة المعمارية يعود الى الفراعنة (٩٣) وتأثرت الاثنولوجيا بنظريات التطور التي نادى بها لامارك التي تنص على ان العضو البشري يتحسن ويترقى نتيجة التأثر والتمرين المستمر وينتقل هذا التطور الى الوراثة عن طريق التزاوج وتأثرت (٩٤) الاثنولوجيا بنظرية التطور عند هربرت سبنسر الذي أكد على ان التطور الذي يحصل للمجتمع يشبه التطور الذي يحصل للكائن العضوي فالبناء الاجتماعي وأنظمته الاجتماعية وأنساقه تشبه البناء الإنساني الذي يضم الجهاز العصبي والجهاز الهضمي والأجهزة الأخرى التي ترتبط بعلاقات وأواصر وهي الأنساق وهذه الأجهزة والأنساق مترابطة ومتماسكة ومتساندة ومتلاحمة من اجل ديمومة الكائن الحي مع إن كل جهاز ونسق له

وظيفة تختلف عن غيره [٩٥] . أما العالم داروين الذي وضع نظريته " الانتخاب " وهذه النظرية يقوم بها الإنسان لتحسين نوعية الحيوانات والنباتات ونظرية " الانتقاء الطبيعي " وهي عملية تقوم بها الطبيعة تعتمد على التخلص من الأنواع الرديئة وأضاف داروين ان المخلوقات تتطور من البسيط الى المعقد وان الصدفة تلعب دورا في التطورات الوراثية [٩٦] . هذه النظريات تأثرت بها الاثنولوجيا فاهتمت بدراسة مسالة الأصول Origins كاصل الدين واصل اللغة واصل القانون وظهرت دراسات تتبع نشأة الظاهرة الاجتماعية والعنصر الثقافي والسمة الثقافية وذلك بالرجوع الى دراسة ماهيتها ، وهذه الطريقة تساعد الباحث على فهم الظاهرة او السمة وتوقع ظهورها مرة أخرى إذا ما لاحظ تكرارها لعدة مرات في الماضي [٩٧] واشتهر في هذه الفترة مجموعة من العلماء الذين تأثروا بالاتجاه التطوري الدارويني ذلك الاتجاه الذي سمي بالاتجاه الاثنولوجي القديم وأطلق على هؤلاء العلماء بعلماء العهد القديم ومن هؤلاء العلماء فوستل دي كولانج الذي أشار الى وجود ارتباطات علّية (سببية) تربط بين الدين والعائلة وبين الدين والأنظمة الاجتماعية والعالم باخوفن الذي بين ان ظاهرة سيادة الأم في الأسرة في بعض المجتمعات لا يمكن فهمها الا بدراستها مع شواهد أخرى. وهنري مين الذي اشتهر بدراسته عن السلطة الأبوية والقانونية في العائلة الرومانية القديمة . ومكلينيان الذي فسر النظم الاجتماعية استنادا الى ظاهرة التزاوج الخارجي Exagamy . اما العالم تايلر فقد دعى الى فهم عمل الأنظمة الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي للمجتمع عن طريق دراسة المتلازمات أي تلازم الظاهرات بعضها ببعض والعلاقات التي تربط بينها ولكن بعض العلماء انتقد هذه الطريقة لان العادات او الأفعال او المفاهيم المتشابهة قد تكتسب معاني مختلفة في المجتمعات المتعددة [٩٨] . لهذا طالبوا بدراسة الظاهرات المتشابهات على اعتبار دراسة كل ظاهرة وهي جزء من الموقف الاجتماعي العام في المجتمع . دافع العالم راد كليف براون من البداية عن موقف تايلر ، وظهرت دراسات تطورية أخرى تعتقد بان العقل واحد عند جميع لبشر وان الاختلافات بين الأفراد والمجتمعات في درجة التطور لحضاري تتأثر بالنشأة الاجتماعية والتربية وتحديات البيئة والحضارات الأخرى ، وقدرة المجتمعات تعتمد على كيفية استجابتها لهذه المتغيرات [٩٩] ، وصرح هؤلاء العلماء بان معظم المجتمعات الانسانية لا بد وان تتطور وهي سوف تمر بنفس المراحل التطورية التي مرت بها الحضارات الأخرى وان توقف التطور في أي مجتمع إنساني يقوده الى

التفكك والانحلال ثم نقد هذا الاتجاه التطوري القديم من قبل أصحاب الاتجاه الاثنولوجي الأمريكي الحديث واعترضوا على منهج التاريخ الضني وجاءوا بالمنهج الاثنولوجي التاريخي الحديث وهذا الاتجاه يدرس النظم ويفسر الظاهرات لا عن طريق دراسة أصولها بل عن طريق تتبع عناصر الثقافة والقيام بجمع المعلومات التي تتعلق بهذه الثقافة المدروسة في المجتمع الواحد الثقافة المادية والمعنوية وذلك بدراسة مصادر انتشارها ثم تحليلها عن طريق البدء من البسيط الى المركب وأشهر العلماء الأمريكيين الممثلين لهذا الاتجاه فرانس بواس وكروبر وروبرت لوي (١٠٠) .

في القرن العشرين ظهرت المدرسة الوظيفية على يد العلماء الاثنولوجيين البريطانيين ومنهم راد كليف براون وبرونزلو مالنوفسكي وادوارد ايفانز بريتشارد و ريموند فيرث وهذه المدرسة الوظيفية البريطانية أكدت على الدور الذي يلعبه كل نظام من الأنظمة الاجتماعية في البناء الاجتماعي للمجتمع ، فمفهوم الوظيفية عند راد كليف براون هو الدور الذي يؤديه أي نشاط اجتماعي فطريقة النسق الاجتماعي هو الإبقاء والحفاظ على البناء الاجتماعي ككل وأفضل طريقة لدراسة البناء الاجتماعي عند راد كليف براون هي الدراسة المقارنة أما تفسيره الوظيفي للأحداث ، هو إن كل الأحداث تنتمي في حدوثها الى قانون عام من القوانين الاجتماعية (١٠١) .

وركزت المدرسة الأمريكية على مفهوم الثقافة وان الثقافة تتكون من انساق ثقافية كالنسق الاقتصادي والنسق السياسي والنسق الديني .... الخ وكل نسق او جزء من الثقافة (الحضارة) له وظيفة في المجتمع ويلعب دورا وكل مركب او عنصر او سمة يلعب دورا وظيفيا في النسق الثقافي الذي ينتمي إليه ، وبهذا المفهوم لا يمكن عند هؤلاء تفسير أي سمة حضارية بمفردها وإنما يجب تفسيرها وهي جزء من النسق الثقافي (الحضاري) الذي تنتمي إليه وإذا اتحدت سمة حضارية مع سمة حضارية أخرى شكلت مركب حضاري وكذلك الحال مع اتحاد عنصر مع عنصر آخر يشكل مركبا ويؤدي هذا المركب دورا وظيفيا (١٠٢) ويعد فرانس بواس Frans Boas احد كبار أنصار النزعة الوظيفية ذات الاتجاه الثقافي الأمريكي وتكاملت هذه النزعة مع تلاميذه وهم روبرت لوي ، وروث بندكت ، ومارگريت ميد ، انتقد فرانس بواس المنهج القديم الذي يعتمد على جمع المعلومات من مختلف الأزمنة والمجتمعات ودعى الى عدم عزل الظاهرة عن سياقها فمفهوم الكرم إذا عزل عن المجتمع العربي يفسر على انه تبذير للأموال ولكن في محيطه يعني نكران للذات ومساعدة وجاه ودعى الى إحلال المنهج التحليلي وإلغاء المنهج التاريخي الضني وتطبيق

الدراسة التكاملية ورد الظاهرات الجزئية الى سياقها الكلي التي هي جزء منه [١٠٣] أما أهم ملاحظات فرانس بواس التي يجب الأخذ بها عند دراسة مجتمع ما هي كما يلي :

١- جمع المادة التي تتعلق بتفاصيل الحياة اليومية وتصنيفها .
٢- تحليل المادة (المعلومات) التي حصل عليها الباحث وذلك نستطيع ان نفهم معالم الحياة في ذلك المجتمع ، السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا والدين والفنون والقيم .
٣- عدم التركيز على جانب واحد من الثقافة .
٤- دراسة خصائص السلوك الاجتماعي المنظم وفهم السلوك الاجتماعي للأفراد يوصلنا الى فهم أفضل للثقافة .
٥- لا بد ان يكون لنا إلمام بالدراسات التاريخية والسايكولوجية والانثربولوجية وذلك لكي يكشف لنا التغير الاجتماعي (الديناميكية) مدى تساند أجزاء الثقافة .

وأخيرا تناولت الاثنوغرافية والاثنولوجيا مواضيع مختلفة عند دراستها المجتمعات البشرية فالاتجاه البريطاني درس النظم الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي للمجتمع كدراسة النظم السياسية والنظم الدينية والنظم الاقتصادية والنظم التعليمية والتربوية ونظم القرابة (العائلة والزواج وأنواعه) والنظم الترفيهية (الفن واللعب وأوقات الفراغ) ودرست التغير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمعات وأنواعه ، والاتجاه الأمريكي درس الثقافة بدلا من دراسة العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي كالتكنولوجيا البسيطة والحرف والفن البدائي والرسوم والموسيقى والرقص والآداب الشفوية وتحليل الأحلام والدين والقيم والأخلاق والطب الشعبي والسحر والطقوس الدينية والاجتماعية .

استمرت الاثنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية الى اليوم كدراسات اثنولوجية ثقافية [١٠٤] .

وفي أوربا تعني الاثنولوجيا علم الانثربولوجيا الاجتماعية أما في بريطانيا فمنذ عام ١٨٩٨ عندما نظمت جامعة كمبرج بعثة علمية بزعامة الدكتور هادون وضمت الدكتور سلكمن ورفرز وغيرهم الى مضايق توريس التي تفصل بين استراليا وجزر غينيا الجديدة وقد شملت الدراسة الشعوب الميلانيزية والبولينيزية وكانت الدراسة حقلية وعلمية فأصبحت هذه الدراسة بداية لعلم جديد في بريطانيا هو الانثربولوجيا الاجتماعية كبديل عن الاثنولوجيا وأعلن ذلك الدكتور جيمس فريزر من جامعة ليفربول عام ١٩٠٨ [١٠٥] .

الفصل الثالث

الانثربولوجيا في القرن العشرين

المبحث الأول

الانثربولوجيا الاجتماعية Social Anthropology

هي الدراسة الدقيقة والمستفيضة لحياة الشعوب والجماعات ، البدائية والصغيرة منها بخاصة كما تبدو من خلال التفاعل الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المدروس ، ودراسة أنساقها ، وأبنيتها ، وتنظيماتها الاجتماعية المختلفة [١٠٦] وتهدف الانثربولوجيا الاجتماعية الى تفسير السلوك الإنساني المتنوع عن طريق الدراسة المقارنة للعلاقات والعمليات الاجتماعية في اكبر قدر ممكن من المجتمعات كتلك العلاقات الاجتماعية المقننة التي تتخذ شكل النظم الاجتماعية أي العلاقات التي بمقتضاها يصبح الناس أعضاء في زمر او فئات اجتماعية (نظم اجتماعية) وأفضل أمثلة لهذه النظم هي العائلة ، والزواج والقرابة ، بما فيذلك نظم الاقتصاد ونظم السياسة ونظم الضبط الاجتماعي كالأخلاق والقانون والدين [١٠٧] . وتعتمد الانثربولوجيا الاجتماعية على كثير من المعلومات التي توفرها العلوم الأخرى ، ويهتم العالم الانثربولوجي الاجتماعي بأنماط السلوك عن طريق تحديد ووصف الروابط السلوكية بين الأفراد بكل دقة وذلك لتفسير العلاقات الاجتماعية لتحديد درجة النسق القرابي او ارتباط الفرد بنوع النظام الاجتماعي والأنظمة الاجتماعية الأخرى المرتبطة بهذا النظام داخل المجتمع الواحد وتوضيح فكرة التساند الوظيفي بين مجموع الانظمة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع [١٠٨] ، ففي هذه المجتمعات تتوضح صورة الأنظمة الاجتماعية كأنظمة اجتماعية يمكن دراستها بسهولة لبساطتها خلاف المجتمعات الكبيرة الحجم والسكان التي تتشابك علاقاتها الاجتماعية وتتعقد صورة الأنظمة الاجتماعية داخلها ، فالأنظمة الاجتماعية في المجتمعات الصغيرة عبارة عن نسج متداخل ومتساند ومتلاحم وتقوم هذه الأنظمة الاجتماعية على خلق وحدة اجتماعية تعمل على ديمومة القربة او المجتمع المحلي الصغير [١٠٩] للفرد في هذه البنى الاجتماعية عدة منازل اجتماعية فهو شخص يشغل أكثر من دور ، ربما يكون اب وزوج

وموظف وشيخ عشيرة في آن واحد او أكثر من ذلك ، وفي هذه المجتمعات لا يستطيع الفرد ان يحدد بنفسه كل الأدوار التي يقوم بها وعلى العكس من ذلك مجتمعات المدينة (الحضرية) يستطيع الفرد ان يحدد الأدوار التي يقوم بها[110] . حدد راد كليف براون موضوع الانثربولوجيا الاجتماعية وهو العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي والأنظمة المختلفة أما منهجهم البحثي فهو المنهج الحقلي وبهذا المنهج يشارك الباحث ويتعايش مع المجتمع المبحوث وعليه ان يستخدم لغتهم ويتكيف عقليا ونفسيا المعيش معهم ولا يخرج عن أخلاقهم وقيمهم ويقيم علاقات اجتماعية معهم ويشاركهم في نشاطاتهم ومناسباتهم لكي يحضى باكتساب ثقتهم إضافة الى ذلك يجب ان يكون مستمع جيد وصبور على ما يفعله الآخرين ويستطيع ان يعبر على ما ينقل إليه او يشاهد من وقائع وظواهر تعبيرا صحيحا عندما يجمع معلوماته الحقلية[111] .

واستخدم راد كليف براون منهج الفرضي الاستنباطي Htpothetica Deductive Method بهذه الطريقة يقوم الباحث باستخراج عدة فروض منطقية متسلسلة فمثلا الفرض الأول مستمد من حقيقة الموضوع او مشكلة البحث والفرض الثاني مستمد من الفرض الأول وهكذا بالنسبة للفرض الثالث والذي يليه . فعندما درس راد كليف براون مجتمع الازندة في جنوب السودان وضع نظريته في القرابة kinship وطبق المنهج الفرضي الاستنباطي كما في المثال التالي :[112]

١- يقوم السلوك في هذا المجتمع على درجة القرابة

٢- تقوم القرابة في هذا المجتمع على الانشطار او التنظيم الانقسامي داخل القبيلة

٣- النظام الانقسامي يستند أما على النظام الأبوي Patriarchal او النظام الأنثوي Matriarchal

٤- اذا كان النظام أبوي عندها تتحدد أنماط السلوك التي يتخذها الفرد منذ طفولته إزاء أبيه او ذويه او خاله

٥- تمتد أنماط السلوك لتشمل الجماعة التي ينتسب إليها الفرد

٦- يمتد السلوك الذي يتبعه الطفل او الابن الى عباده الإسلاف من جهة الأب اذا كان النظام أبوي او أسلاف الأم اذا كان النظام أمي

٧- الشعائر والطقوس التي تظهر في المجتمع هي نمط سلوكي قرابي وان نظام القرابة يشكل جزء هام من البناء الاجتماعي في هذا المجتمع

دعى راد كليف براون عند تحليل أي سمة حضارية أن نبدأ بشرحها ثم ردها الى سياقها التاريخي ثم مقارنتها بغيرها وعندها تستطيع فهم وظيفتها وتحديد دورها وعلاقتها بالبناء الاجتماعي ، اما عملية البرهنة فتتم بعد الانتهاء من الخطوات الأولى في البحث وهي الملاحظة المباشرة وجمع المعلومات وتصنيفها وسوف تتكون فكرة او عدة أفكار في عقل الباحث هذه الأفكار يصفها الباحث على شكل فروض يحاول ان يتثبت منها واحدة بعد الأخرى وينتخب الباحث الفرض الصادق ويحذف الفروض الباطلة وبذلك تصبح الفروض الصحيحة نظريات ، وبعد تعميمها على عدة مجتمعات تصبح قوانين ويؤكد راد كليف براون على الدراسة التكاملية لكافة جوانب ومكونات المجتمع ومؤسساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية دراسة استاتيكية (ساكنة) أي دراسة هياكله وتقسيماته الإدارية ،ثم تدرس نشاط وحركة هذه المؤسسات وهي في حالة العمل والتغير والتطور (حالة ديناميكية) ولم يكتف براون بالدعوة الى دراسة المجتمع من جميع وجوه وعلائقه (دراسة تكاملية) بل طالب بتطبيق المنهج التكاملي وهو استعمال عدة مناهج عند إجراء البحث وحسب حاجة البحث [١١٣] . وطبق طريقة راد كليف براون تلميذه ايفانز برتشارد في دراساته لقبائل النوير وقبائل الزولو في افريقيا وفعل العالم نادل نفس الشئ عندما درس ظاهرة السحر في أربع مجتمعات افريقية [١١٤] . ويؤكد راد كليف براون ان في كل مجتمع شئ له تاثيره الاجتماعي ويشكل موضوعا Object له قيمة تدور حوله بعض الطقوس والشعائر ، ففي مجتمعات جمع القوت والصيد تكون الحيوانات والنباتات لها قيمة اجتماعية Social Value وطقوس المجتمع تدور حول هذه الموضوعات وفي الجماعات القبيلة او العشائرية تصبح الرموز سواء كانت إنسانية أو حيوانية أو مادية أو وقائع مهمة هي التي لها قيمة اجتماعية وتدور حولها الطقوس ففي مجتمعات الاندمان في المحيط الهندي تتعلق الموضوعات التي لها قيمة اجتماعية بين عالم المجتمع عالم الطبيعة كالنجوم والكواكب والمواسم والحيوانات والنباتات [١١٥] وأوصى راد كليف براون عند تحليل أي سمة حضارية أن نبدأ أولا بشرحها ثم ردها الى سياقها التاريخي ثم مقارنتها بغيرها وبذلك سوف نستطيع فهم وظيفتها وتحديد دورها وعلاقتها بالبناء الاجتماعي [١١٦] .

أشار العالم جيمس فريزر على الباحث العودة الى مكتبه بعد الانتهاء من جمع معلوماته الحقلية والبدء في تصنيف وتبويب هذه المعلومات وإجراء الدراسة المقارنة المكانية للظاهرة وهي فيما اذا

وجدت ظواهر أخرى مشابهه حدثت في مجتمعات أخرى او ان يقوم بإجراء مقارنة بين مجتمع ومجتمع آخر في منطقة جغرافية واحدة او في مناطق جغرافية متمايزة وبعيدة [117] . او الدراسة المقارنة الزمانية وهي تتبع ظاهرة او عنصر او سمة حضارية منذ نشأتها في مجتمع واحد وتطورها عبر الزمان وتكرر حدوثها ويمكن بعد ذلك مقارنتها بظواهر مشابهة لها في مجتمع آخر او مجتمعات اخرى . لقد وجدت عدة ظواهر متشابهه بعيدة عن بعضها وفي بعض الأحيان وجدت في مجتمعات منعزلة تماما وفي مناطق نائية من العالم . والسبب يعود أما الى نظرية الانتشار الانثربولوجية Diffusionism [188] او الى نظرية النفس الإنسانية الواحدة (العقل البشري الواحد)[119] Dsychic unity أنكر عدد من علماء الانثربولوجيا استخدام المنهج العلمي في الانثربولوجيا الاجتماعية فـ (روبرت لوي) ينكر فكرة القوانين الاجتماعية ويعلن بطلانها ورد عليه راد كليف براون ان العلم يدرس الأنساق عن طريق العلوم التفسيرية التي لا يمكن رؤيتها كالذرة والالكترونات والبروتونات والجسيمات المتناهية في الصغر التي تنعدم فيها حركة المكان والزمان ولكن تدرك خصائصها عن طريق الفكر المجرد وليس عن طرق الملاحظة المباشرة . أما علم الانثربولوجيا الاجتماعية فهو يدرس الأنساق عن طريق العلوم التصنيفية التي هي ذاتها الطريقة التي نستعملها العلوم الطبيعية وبذلك تكون مناهج العلوم الطبيعية هي نفسها مناهج الانثربولوجيا الاجتماعية [120] .

المبحث الثاني

الانثربولوجيا الثقافية : Cultural Anthropology

هي ذلك الفرع من الانثربولوجيا الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية ، لقد عرف العالم البريطاني ادورد برنت تايلر Edward B. Tylor الثقافة " بأنها ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والتقاليد والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع " [121] ، أما الدكتور عاطف وصفي فيعرف الثقافة بأنها " طريقة معيشة مجتمع ما " . إن موضوعات الثقافة في الانثربولوجيا بدأت مع الدراسات الاثنوغرافية والانثربولوجيا ولكن بعد تطور الدراسات الانثربولوجيا في الجامعات الأوربية والأمريكية أخذت بعض الجامعات تدرس الانثربولوجيا الثقافية كفرع من الانثربولوجيا العامة كما هو الحال في

جامعة شيكاغو وغيرها أما بقية الجامعات الأمريكية فتدرس الانثربولوجيا الثقافية كفرع من الانثولوجيا في حين يعتبر البريطانيون الانثربولوجيا الثقافية فرع من الانثربولوجيا العامة (١٢٢) ، وتدخل في نطاق الانثربولوجيا الثقافية إضافة الى الاثنوغرافية والانثربولوجيا الحفريات وعلم الآثار ما قبل التاريخ ، وكما أشرنا سابقا تدرس الانثربولوجيا الثقافية . الثقافة المعنوية والثقافة المادية أي تدرس الإنتاج الروحي والمادي للمجتمع البداني أو المجتمع المحلي في الوقت الحاضر . وتدرس الاستعارة الحضارية والتطور الحضاري والتغير الاجتماعي في المجتمع وتدرس أصول الحضارة وتنوعها وانتشارها والتاريخ الحضاري التكنولوجي ، كالمخترعات التي تملكها هذه المجتمعات من أدوات وأجهزة وأسلحة وبناء معماري وملابس وزينة إضافة الى الفنون والآداب والقصص والأساطير والخرافات (١٢٣) وتعتمد الانثربولوجيا الثقافية على الدراسات الحقلية فالباحث يبدأ بوصف المجتمع المحلي وصفا دقيقا معتمدا على مشاهداته للحياة اليومية في تلك القرية ويرصد التجمعات التي تحدث في تلك القرية سواء كانت هذه التجمعات من احل العمل او المناسبات المختلفة . يحاول الباحث ان يحلل ما سمعه او سجله او شاهده من أحاديث وانفعالات وحركات وبعد تصنيف وتبويب المعلومات يطبق المنهج التكاملي واغلب الباحثين يطبق المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي ، وبالمنهج التاريخي يمكن تتبع مختلف العناصر الثقافية والسمات الجزئية بالرجوع الى ماضيها او البحث داخل المركبات الثقافية ويفتش الباحث عن آثار الرواسب الثقافية في اللغة والعادات والتقاليد وجميع النشاطات الاجتماعية ويسوق تايلر مثالا على ذلك عن جزيرة مدغشقر الآسيوية التي تقع في شرق القارة الأفريقية ، فالثقافة والملامح العامة للسكان المحليين تبدو للناظر افريقية ولكن بالدراسة المقارنة وجدت عناصر ثقافية آسيوية واستنتج تايلر إن هنالك هجرة وامتزاج ثقافي (١٢٤) ويمكن معرفة الثقافية الأصلية قبل الاحتكاك الثقافي عن طريق تطبيق المنهج التاريخي المقارن ودراسة الخصائص الفيزيقية الحالية والمغايرة والاستعانة بعلم آثار ما قبل التاريخ ودراسة اللغة والمركبات اللغوية والصيغ واللهجات ومقارنتها عندها نستطيع أن نصل الى بعض الحقائق المؤكدة وبعض الحقائق الاجتماعية وهذه الطريقة تستعمل عندما لا توجد وثائق تاريخية مدونة في تلك المجتمعات البدائية او المتخلفة عن الحضارة .

أما العالم البريطاني مالينوفسكي (١٨٨٤ – ١٩٤٢) فقد ذهب الى جزر التروبرياند التي تقع في شرق غينيا الجديدة في المحيط الهادي قبل الحرب العالمية الأولى وبقى لمدة أربعة أعوام وتعلم مالينوفسكي لغة السكان المحليين وعاش نمط معيشتهم مما ساعده على تفهم ثقافتهم فكانت دراساته دقيقة تضمنت وصفا وتحليلا للأنظمة الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات منها النظم السياسية والنظم الاقتصادية ونظم الزواج ونظم الدين وغيرها من الأنظمة ودرس أشكال الضبط الاجتماعي العرفي والقانوني والطقوس التي تتعلق بالمناسبات الدينية والعائلية والموسمية وبحث في السحر والخرافات في هذه المجتمعات البدائية ووضح كيف تعمل مجموعة من العادات والتقاليد على سد الاحتياجات الجسمية والنفسية للأفراد وأكد مالينوفسكي إن الثقافة عبارة عن كيان وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي بحيث لا يمكن فهم عضو من أعضاؤه إلا في ضوء علاقته بباقي الأعضاء لذلك لا يمكن فهم وظيفة العنصر الثقافي إلا من خلال وظيفته العلمية وعلاقته بالعناصر الأخرى ودعى مالينوفسكي الى دراسة ثقافة الشعوب كل على حدة في إطار وضعها الحالي لا كما كانت عليه في الماضي ولا حاجة لنا ان نعرف كيف تغيرت هذه الشعوب والمجتمعات [١٢٥] . واشتهر العالم الأمريكي فرانس بواس باهتمامه بالثقافات الإنسانية باعتبار إن لها كيانات مستقلة تميزها عن غيرها من الكيانات . لقد أكد فرانس بواس ان كل ثقافة هي حصيلة نمو تاريخي معين لاحظ بواس انه لا يمكن دراسة مجتمعات الهنود الحمر في أمريكا عن طريق استخدام منهج الانثربولوجيا الاجتماعية البريطانية التي تؤكد على دراسة العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية بسبب ان هذه المجتمعات القبلية والعشائرية المنتشرة في منطقة جغرافية محددة تتشابه النظم الاجتماعية فيها ويصعب تمييزها لهذا ركز على دراسة السمات الثقافية حيث تمتلك كل قبيلة مجموعة من السمات الثقافية لا توجد عند غيرها من القبائل ، وهنالك عدد من السمات الثقافية تشترك بها مجموعة من القبائل . لاحظ بواس مجموعة من القبائل تستعمل الجلود في بناء مساكنها وتتشابه في صناعة الملابس وطقوسهم الدينية متماثلة لذلك أطلق بواس على مجموعة القبائل التي تشترك في مجموعة من السمات الثقافية المتشابهة وينتشرون في منطقة جغرافية واحدة بالمنطقة الثقافية وقسمت الولايات المتحدة في ذلك الوقت الى تسع مناطق ثقافية للهنود الحمر.

هذه الطريقة طورت بواسطة عدد من العلماء الانثربولوجيين وقسموا العالم الى مناطق ثقافية متعددة [١٢٦] . ساعدت هذه الطريقة على مقارنة الثقافات في العالم ، بعد ذلك توصل العالم ويسلر وهو احد تلاميذ فرانس بواس الى نظرية الدائرة الثقافية فقد شبه المنطقة الثقافية افتراضيا بدائرة وسمى مركزها بمركز الثقافة وهو المكان الذي تتركز فيه معظم العناصر لثقافية للثقافة السائدة في المنطقة الثقافية وبالقرب من محيط الدائرة الثقافية حدد منطقة الثقافة الهامشية وفيها تختلط العناصر الثقافية الأصلية بعناصر ثقافية من منطقة ثقافية أخرى [١٢٧] . ومن الذين ساعدوا على تطوير مفهوم الثقافة في المجتمع العالم الفرنسي دوركايم فقد أطلق دوركايم مصطلح الظاهرة الجمعية او الضمير الجمعي للمجتمع واستعارة هذه المماثلة لمفهوم هذا المصطلح من مفهوم مصطلح المركب الكيميائي ، فالمركب الكيميائي الناتج من تفاعل عنصرين أو أكثر ينتج مادة جديدة لا تمثل العناصر المكونة لها فالضمير الجمعي يختلف تماما في قوانينه وأحكامه وقهره الاجتماعي عن مكوناته وهم الأفراد وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض والظواهر المؤثرة عليهم [١٢٨] أما الوظيفة الاجتماعية فقد استعارها دوركايم من مماثلة هربرت سبنسر لوظائف أجهزة المجتمع مع وظائف أجهزة الكائن الحي ثم استعارها علماء الانثربولوجيا بدورهم من العالم دوركايم ، فالوظيفة التي تقوم بها نظم المجتمع او أنساقه الثقافية تشبه الوظائف التي يقوم بها أجهزة الكائن الحي كوظيفة الجهاز العصبي ووظيفة الجهاز الهضمي ووظيفة الجهاز العضلي ..... الخ وعندما درس دوركايم المدونات والمعلومات التي كتبها الرحالة وغيرهم عن المجتمعات البدائية لاحظ دوركايم إن الوظيفة الاجتماعية للدين في المجتمعات البدائية التي تمتلك نظم دينية هو الضبط الاجتماعي وذلك عن طريق تقوية المشاعر وتنميتها للحفاظ على تماسك المجتمع وتضامنه هذا التضامن هو الذي يؤدي الى خلق وتجديد المجتمع [١٢٩] وتناول دوركايم بعد ذلك مفهوم التضامن الآلي في المجتمعات البدائية او القروية . فالأفراد يقومون بتطبيق الحقوق والواجبات التي عليهم عن قناعاتهم فان الخروج عنها يعرض الأفراد الى القهر الاجتماعي . اما التضامن العضوي في المجتمعات المدنية (الحضرية) يشترك الأفراد في إطاعة القانون وحفظ الحريات وهو أمراً لا بد منه لأنه يحقق في النهاية السعادة للجميع [١٣٠] .

المبحث الثالث

الانثربولوجيا والمعاصرة

لقد تطورت الدراسات الانثربولوجيا عما كانت عليه في القرون الماضية فمع وجود التباين في الثقافات والاختلاف في المستويات الحضارية للمجتمعات الإنسانية جنبا الى جنب مع الاتجاهات الفكرية المختلفة الناتجة عن التغيرات الاجتماعية والتطور العلمي ظهرت النظرية البنائية الفرنسية Structuralism التي طرحها كلود ليفي شتراوس ، لقد جاءت هذه النظرية البنائية مخالفة لنظرية راد كليف براون التي تصور العلاقات الاجتماعية البناء الاجتماعي كما ندرسها ونلاحظها نحن كما هي في ارض الواقع فقد رأى كلود ليفي شتراوس ان على الباحث أن يبدأ باستخلاص القواعد والقوانين التي تحكم توجه الأفراد وتضبط سلوكهم من خلال دراسة العمليات العقلية والإدراكية لديهم بشان ثقافتهم او تصورهم عن العالم الخارجي المحيط بهم وكل هذه العمليات تتم في الذهن البشري تظهر في اللغة والفولكلور والفن والأدب وجمع المعارف والنشاطات الإنسانية الأخرى عند الأفراد في سلوكهم وأفعالهم . ويذكر ادم كوبر ان ليفي شتراوس جعل البريطانيون يعيدون النظر في اتجاهاتهم البنائية التقليدية وانتهى بهم الأمر الى تبني بنائية جديدة New - Structuralism يتزعمها العالم ليتش . والاتجاه المشترك بين البنائية الفرنسية والبنائية البريطانية الجديدة هي الدعوة الى استخدام المناهج الرياضية والكمية (الإحصائية) في دراسة الثقافة ، وذلك بإعطاء العناصر الثابتة (الغير متغيرة) في الحياة الاجتماعية او الثقافة قيما عددية . وفي الولايات المتحدة الأمريكية ظهر اتجاه باسم علماء دراسة الشعوب Ethno scientists ويطلق على هذا الاتجاه أيضا الاثنوغرافيا الجديدة وهي دعوة بعدم إقحام الباحث الأجنبي بمفاهيمه واتجاهاته التحليلية في البحث مباشرة وإنما يترك ذلك لأصحاب الثقافة من مواطني او أفراد المجتمع المحلي المبحوث .

اذن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هي ترك الشعب يكشف عن تصوراته لنمط الحياة داخل مجتمعهم ثم بعد ذلك إيضاح الأسس العقلية والأصول الثقافية التي يستندون إليها أبناء هذا المجتمع في تنظيم العلاقات الاجتماعية وطرق قواعد السلوك ونظم القيم وفي المرحلة الأخيرة يستخدم الباحث مهارته العلمية والفنية في استخلاص النتائج .

وقد ركزت الاثنوغرافيا الجديدة على اللجوء الى تحليل اللغة الوطنية للمجتمعات المدروسة لاستخراج المفاهيم من المفردات وما تحويه من قيم وأفكار وتصورات لان هذه المعلومات لا يستطيع الباحث الحصول عليها عن طريق الأفراد . واهتمت الاثنوغرافيا الجديدة بالمعلومات التي يدلي بها الاخباريون . ودعى الانثربولوجي الأمريكي المعاصر كليفورد كرتيز Cliford Greatz الى الاهتمام بالرموز الثقافية . واليوم تحولت المجتمعات البدائية والمتخلفة عن الحضارة الى دول مستقلة وتحولت مهمة الانثربولوجي نحو الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية والثقافية التي تظهر في المجتمعات البشرية المحلية او الكبيرة . وتفرعت الانثربولوجيا العامة الى فروع كثيرة ومتنوعة كالانثربولوجيا السيكولوجية والتحليلية والتطبيقية وغيرها .

خاتمة ونتائج

بعد الانتهاء من قرائتنا وتحليلنا لهذا العلم نجمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يأتي :

١- ان دراسات وصف الشعوب وجدت مع ظهور الحضارات القديمة

٢- تطورت هذه الدراسات في الحضارة الإسلامية على يد البيروني وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم وان بعض هذه الدراسات لا تختلف كثيرا عن الدراسات الانثربولوجيا الحديثة .

٣- نشوء الانثربولوجيا كعلم كان نتيجة بين التغيرات الكبرى التي حدثت في العالم وهي الاستكشافات الجغرافية والتطورات العلمية والفكرية في الغرب

٤- وجد هذا العلم في أول الأمر لخدمة الاستعمار ثم أصبح احد العلوم المهمة في العلوم الاجتماعية بعد حصول الشعوب على استقلالها وظهور الدول النامية

٥- استفادت الدول النامية ولا سيما دول جنوب شرق آسيا من تطبيقات هذا العلم في تطوير مجتمعاتها الريفية وفي حل كثير من المشاكل والإخفاقات التي تواجه السياسات الاقتصادية التنموية في تلك البلدان لمشكلات العمال والطبقات الفقيرة والصراعات والهجرات ومعالجة الأمراض .

٦- قامت الانثربولوجية بمساعدة الدول على إتباع انجح السياسات في إدارتها لشعوبها وذلك بفهم العمليات الثقافية والاثنية للجماعات المختلفة داخل الإطار الإقليمي مما ساعد على توثيق عرى الوحدة الوطنية لهذه البلدان وذلك عن طريق إقامة العلاقات المتوازنة بين المجتمعات العنصرية المختلفة

٧- لعبت الانثربولوجية في السياسة الخارجية دورا مهما وذلك في فهم ثقافة الآخرين مما ساعد على إقامة علاقات طيبة مع الشعوب الأخرى وتجنب الإجراءات التي تبدو صحيحة عند مجتمع معين وغير صحيحة في مجتمع آخر نتيجة لتمايز ثقافتهم وطريقة تفكيرهم .

٨- الأخذ بعين الاعتبار تأثير المستجدات التي جاء بها عصر العولمة على المجتمعات البشرية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية والنظم والثقافة داخل المجتمع الواحد او المجتمعات المختلفة الأخرى مما سوف تنتج من تفاعلها مع الانظمة الاجتماعية التقليدية الخاصة بكل مجتمع ظواهر اجتماعية وثقافات جديدة لا يمكن تصورها على الأمد القصير بسهولة .

٩- على الجامعات والمراكز العلمية في الدول النامية واجب الاهتمام بالدراسات الانثربولوجية الاجتماعية ووضع الموضوعات والمناهج العلمية التي سوف تساهم في تطوير قدرات الطلاب العلمية والبحثية من اجل تقدم وديمومة مجتمعاتهم .

الهوامـــش

1- joan Wynn Reeves , Body and Mind in Western Thought , A Pelican Book , Landon 1955 , P 25 .

٢) د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٤١

٣) د . حسن صعب ، علم السياسة ، ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٨٠

4- joan Wynn Reeves , Body and Mind in Western Thought , A Pelican Book , Landon 1955 , P 45- 46 .

5- New Word Dictionary , David B. Guralnik ,(Sec Edition) , William Collins & World Polishing .New York 1974 P 345

٦- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٥٢

٧- عباس فاضل السعدي ، البيروني أشهر العباقرة المسلمين ، العربي ، العدد ١٦٢ ، الكويت ١٩٧٢ .

٨- شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام (القسم الأول) ، ت السمهوري عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨ . ص١٨٨

٩- المصدر السابق ، ص ١٨٧

١٠ - المصدر السابق ، ص ١٨٧ — ١٨٨

١١- المصدر السابق ، ص ١٨٥

١٢- المصدر السابق ، ص ١٩٣

١٣- جرجي زيدان ، طبقات الأمم ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٥

١٤- عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار المختار ، القاهرة ٢٠٠٨ ، ص٢١ — ٥٥

15- Henry Thomas & Dana Lea Thomas , Blue Ribbon Books , New York 1946 .P 72

١٦- د . علي الوردي ، منطق ابن خلدون ، منشورات سعيد ابن جبير ، قم المقدسة ، ص ٣٥

١٧- د . توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، ط ٥ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٢٠

١٨- شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام (القسم الأول) ، ت السمهوري عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨ . ص٤٠

١٩- د . حسن صعب ، علم السياسة ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ، ص ٩٤

٢٠- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٥٤ ، ٧٦ ، ٨٢
٢١- المصدر السابق ، ص ٨٢
٢٢- المصدر السابق ، ص ٨٢
٢٣- المصدر السابق ، ص ٨٦ — ٨٧ — ٨٨
٢٤- المصدر السابق ، ص ٨٤
٢٥- د . ايفانز برتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص١٣ - ١٤
٢٦- معجم علم الاجتماع ، البروفسور دنكين ميشل ، ت احسان محمد الحسن ، (دار الحرية ، بغداد ١٩٧٥) ص ٤١ — ٤٢
٢٧- جرجي زيدان ، طبقات الأمم ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٨٧
٢٨- المصدر السابق ، ص ٦٠ — ٦١
٢٩- المصدر السابق ، ص ٦٤
٣٠- المصدر السابق ، ص ٦٥ — ٦٦
٣١- د . ايفانز برتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص٢١ — ٢٢
٣٢ - المصدر السابق ، ص ٢٤
٣٣- عبد علي سلمان ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، جامعة صلاح الدين ، سنة ١٩٨٥ ص
٣٤- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢١٧
٣٥- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٢٦٤ — ٢٦٧
٣٦- المصدر السابق ، ص ١٠٥ — ١٠٦
٣٧- المصدر السابق ، ص ١١٨
٣٨- جرجي زيدان ، طبقات الأمم ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٧
٣٩- المصدر السابق ، ص ١٩٢
٤٠- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ،

بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ١٨١

٤١- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص٢٣

٤٢- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٢٨

٤٣- د . ايفانز برتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص١٥

٤٤- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢٦٨-٢٧٠

٤٥- معجم علم الاجتماع ، البروفسور دنكين ميشل ، ت احسان محمد الحسن ، (دار الحرية ، بغداد ١٩٧٥) ص ٤٤

٤٦- د . ايفانز برتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص١٤

٤٧- المصدر السابق ، ص ١٤-- ١٥

٤٨- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٨٨ — ٨٩

٤٩- مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه (الكتاب الثالث) ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٩ ، ص١٥٧

٥٠- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٨٩ — ٩٠

٥١- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٧٩ — ٨٠

٥٢- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص٤٢

٥٣- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٨٤ — ٨٥

٥٤- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص٤٣

٥٥- اندريه لانجاسي ، المعلومات المتاحة عن أصل الشعوب وتنوعها وإسهام علم الوراثة فيها (ت محمد جلال عباس) مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٣٦ ، السنة السادسة ١٩٨٧ ، ص ٨١

٥٦- المصدر السابق ، ص ٨٧

٥٧- المصدر السابق ، ص ٩٠

٥٨- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٤٦

٥٩- المصدر السابق ، ص ٤٨

٦٠- المصدر السابق ، ص ٤٩ — ٥٠

٦١- اندريه لانجاسي ، المعلومات المتاحة عن أصل الشعوب وتنوعها وإسهام علم الوراثة فيها (ت محمد جلال عباس) مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٣٦ ، السنة السادسة ١٩٨٧ ، ص ٨٨

٦٢- المصدر السابق ، ص ٨٣

٦٣- المصدر السابق ، ص ٨٣

64- Oxford Advanced Learner's Dictionary As Hornby Oxford University Press 1977 P 292

65- New Word Dictionary , David B. Guralnik ,(Sec Edition) , William Collins & World Publishing C o. .New York 1974 P 481

٦٦- مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه (الكتاب الثالث) ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٩ ، ص١١٠

٦٧- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ١٥٨ .

٦٨- المصدر السابق ص ١٥٨ — ١٥٩

٦٩- د . ايفانز برتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص١٤

٧٠- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٨٣

٧١- مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه (الكتاب الثالث) ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٩ ، ص١١٢

٧٢- المصدر السابق ص ١١٣

٧٣- المصدر السابق ص ١١٣

٧٤- د . ايفانز برتشارد، الانثربولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص٤١

٧٥- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢٠٣

٧٦- المصدر السابق ص ٢٦

٧٧- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٢٦

٧٨- المصدر السابق ص ٢٦

٧٩- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢٩

٨٠- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٢٩

٨١- المصدر السابق ص ٢٥

82- New Word Dictionary , David B. Guralnik ,(Sec Edition) , William Collins & World Publishing C o. .New York 1974 P 481

٨٣- محمد الخطيب ، الاثنولوجيا ، منشورات دار علاء الدين ، سوريا ٢٠٠٩ ، ص ٧

٨٤- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٣٠٩

٨٥- المصدر السابق ص ٣٣٤

٨٦- المصدر السابق ص ٢٦

٨٧- المصدر السابق ص ٢٨

٨٨- المصدر السابق ص ١٦٧

٨٩- المصدر السابق ص ٣٧٤ -- ٣٧٥

٩٠- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٧٢ — ٧٥

٩١- المصدر السابق ص ٩٦

٩٢- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص١٢٠

٩٣- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٢٨

٩٤- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ١٣١

٩٥- معجم علم الاجتماع ، البروفسور دنكين ميشل ، ت احسان محمد الحسن ، (دار الحرية ،

بغداد ١٩٧٥) ص ٣٥١
٩٦- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ١٤٥
٩٧- المصدر السابق ص ٢١١
٩٨- المصدر السابق ص ٢٠١
٩٩- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ١١٨
١٠٠- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢٠٧
١٠١- المصدر السابق ص ٣٠٦
١٠٢- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٧٠ — ٧١
١٠٣- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢٠٧
١٠٤- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٤٨
١٠٥- د . قباري محمد إسماعيل ،الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ،الإسكندرية ١٩٧١ ،ص ١٣
١٠٦- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٤٨
١٠٧- د . عبد الحميد لطفي ،الانثربولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٩ ، ص ١٠٠- ١٠٢
١٠٨- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٨٠
١٠٩- المصدر السابق ص ٩٠
١١٠- د . عبد الحميد لطفي ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٨١ ، ص ٦٣
١١١- مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية) ت ، د . أحمد حامد و د . علية حسن ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ١٤١ — ١٤٥
١١٢- د . قباري محمد إسماعيل ،الانثربولوجيا العامة ،منشاة المعارف ،الإسكندرية ١٩٧١ ،ص ٢٠٧
١١٣- المصدر السابق ص ٣٥٣
١١٤- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ،

بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٥٨

١١٥- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٩٨

١١٦- د . قباري محمد إسماعيل، الانثربولوجيا العامة، منشاة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١، ص٣٤٠

١١٧- المصدر السابق ص ٣٤٩ — ٣٥٠

١١٨- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٩٣

١١٩- المصدر السابق ص ٣٧٠

١٢٠- د . قباري محمد إسماعيل، الانثربولوجيا العامة، منشاة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص٣٣٩

١٢١- معجم علم الاجتماع ، البروفسور دنكين ميشل ، ت احسان محمد الحسن ، (دار الحرية ، بغداد ١٩٧٥) ص ٩٣

١٢٢- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٤٨

١٢٣- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ٨٧ - ٨٩

١٢٤- د . قباري محمد إسماعيل، الانثربولوجيا العامة، منشاة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١، ص٢٦٤

١٢٥- د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ١٦٧

١٢٦- المصدر السابق ص ٤٦ — ٤٨

١٢٧- د . قباري محمد إسماعيل ، الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧١ ، ص ٤٨٥

١٢٨- د . ايفانز برتشارد، الانثربولوجيا الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية ١٩٧٥، ص٧٣ — ٧٤

١٢٩- لوسي مير ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ت ، د . شاكر مصطفى سليم ، الشؤون الثقافية ، بغداد ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٧

١٣٠- المصدر السابق ص ٣٦

131- Jon Mcgee and Richard L . Warms , Anthropological theory . McGraw – Hill ,New York , Forth edition 2008 .P 324

١٣٢- د . حسين فهيم ، قصة الانثربولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ ص٢٢٥

١٣٣- المصدر السابق ص ٢٣٢

134- Jon Mcgee and Richard L . Warms , Anthropological theory . McGraw – Hill ,New York , Forth edition 2008 .P 511

المصادر والمراجع

١- د . ادوارد أ . ايفانز برتشارد : الانثربولوجيا الاجتماعية ، (ترجمة احمد أبو زيد) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الخامسة ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ .

٢- د . محمد الجواهري : الانثربولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعرفة الجامعية ، ، الاسكندرية ، ١٩٩٦ .

٣- د. لوسي مير : مقدمة في الانثربولوجيا الاجتماعية (ترجمة د . شاكر مصطفى سليم) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨١ .

٤- د . قباري محمد إسماعيل : الانثربولوجيا العامة ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧١ .

٥- د . عاطف وصفي : الانثربيولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٦- د . محمد حسن غامري : الانثربولوجيا العامة ، المركز العربي للنشر ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ .

٧- د . محمد عبده محجوب : مقدمة في الاتجاه السوسيوانثربيولوجيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ .

٨- د . حسين فهيم : قصة الانثربولوجيا ، عامل المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ .

٩- محمد الخطيب : الانثربيولوجيا الاجتماعية ، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٨ .

١٠- محمد الخطيب : الانثربولوجيا الثقافية ، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٨ .

١١- محمد الخطيب : الاثنولوجيا ، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٩ .

١٢- عبد علي سلمان : الانثربولوجيا الاجتماعية ، منشورات جامعة صلاح الدين ، العراق ، ١٩٨٤ .

١٣- جرجي زيدان : طبقات الأمم ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٩

١٤- جوزيف شاخت و س . أ . بوزورث : تراث الاسلام (ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري) عالم المعرفة ،الكويت ، ١٩٧٨ .

١٥- د . حسن صعب : علم السياسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ .

١٦- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .

١٧- د . علي الوردي : منطق بن خلدون ، منشورات سعيد بن جبير ، قم المقدسة ، ٢٠٠٥ .

١٨- د . علي عبد الواحد : علم الاجتماع ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

١٩- د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسة (الجزء الثالث) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٠ – د . عبد الحميد لطفي : علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢١ – د . علاء الدين البياتي : علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق . مؤسسة الاعلمي (بيروت – بغداد) ، ١٩٧٥ .

٢٢ – معجم علم الاجتماع . البروفسور دينكن ميشيل . ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن (دار الرشيد) ، ١٩٨٠ .

٢٣ – مجالات الانثربولوجيا (مختارات من الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية) ترجمة السيد احمد حامد والدكتورة علية حسن ، دار القلم ، بيروت ،

٢٤ – مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٣٦ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٨٧ .

المراجع الانكليزية

1- Jon Mcgee and Richard L . Warms , Anthropological theory . McGraw – Hill ,New York , Forth edition 2008 .
2- Gorge Ritzen , Classical Sociological theory , McGraw – Hill ,New York , Fifth edition 2008 .
3- Modren Sociology , Peter Worsly , Penguin Books , Second edition 1978 .
4- Biplap Dasgupta , Villege Society and Labour use . Delhi axford University Press .Bombay – India . 1978 .
5- Henry Thomas & Dana Lea Thomas , Blue Ribbon Books , New York 1946 .
6- Werner Stark , The Sociology of Religion , London 1969 .
7- Hermann Strasser , The Normative Structure of Sociology , London 1976 .
8- H .E Bracey , People and the Countryside , Routledge and Kegan Paul , London 1970 .
9- Hilary Gallan , Ethology and Society Clarendon Press , Oxford , 1970
10- Hendrik Willem Van Loon , the Story of Mankind , the Pocket Library , London 1955 .
11- David Hume , A tereatise of humen nature , the Fontana Library Philosophy , London 1962 .
12- Vera Micheles Dean , the Nature of the non – Western World , New American Library .